الانتقائية في تحقيق التراث بين المسلمين والمستشرقين

الأستاذ الدكتور
محمد عطا أحمد يوسف

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الانتقائية في تحقيق التراث

بين المسلمين والمستشرقين

أ.د/ محمد عطا أحمد يوسف
أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة طنطا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

الانتقائية في تحقيق التراث بين المسلمين والمستشرقين

إن الحمد لله، نحمَده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومِن سيئات أعمالنا، ونصلي ونسلِّم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن مسألة الانتقائية في تحقيق التراث تثير تساؤلًا معرفيًّا قديمًا ومعاصرًا مضمونه، ماذا يختار المسلمون أو غيرهم من المستشرقين من التراث ليُحقِّقوه؟

فإذا كان التراث يُمثل ما أنتجته العقول الإنسانية في زمن غابر، فإن تحقيقه هو استدعاء لما يصلح من هذا التراث؛ ليكون مؤثرًا في حاضر الأمة ومُلهمًا لمستقبلها، وبخاصة فيما يختص بالجانب الفكري وتحديدًا في البعد الديني من هذا الفكر، والدين الإسلامي يمثل بالنسبة للفكر الإنساني الديني سفينة النجاة، من التخبط بين دياجير الجهل والظلم في عصوره القديمة، وماديته وإلحاده وشروده وتخبُّطه في حاضره المعاصر، وذلك لأن الدين الإسلامي هو الدين الأوحد على ظهر البسيطة الذي يحتفظ بربانية المصدر، من خلال كتابه الإلهي "القرآن الكريم" المحفوظ من الخالق سبحانه وتعالى، فلم تختلط بهذه الربانية أفكار بشرية كغيره، مع استقامة للمثال النبوي المحمدي صلى الله عليه وسلم المطبق لهذا الكتاب تطبيقًا عمليًّا يتناسب مع الطبيعة الإنسانية في شتى الأزمان والأعصار.

والانتقائية بهذا المعنى لا علاقة لها بالنص القرآني، ولا بصحيح السنة، وإنما مجالها - الذي نقصده في بحثنا هذا - هو ما أنتجه فكر المسلمين في عصورهم الأولى من تفاسير وشروح للقرآن والسنة، وما أنتجه هذا الفكر أيضًا في مجالات العلوم الإنسانية بشتى فروعها.

ومفهوم التراث لا يقتصر على هذه المخطوطات الدينية الخاصة بالتفسير والحديث والعقيدة والفقه، وبعض كتب الأدب واللغة والنحو، وإنما نقصد المعنى الأوسع الذي يتسع لكل ما تركته الحضارة الإسلامية في شتى فروع الفكر الإسلامي، وإن كان من تخصَّص في فرع من فروع هذه الحضارة، أو ركن من أركانها، إنما يأتي ذلك من إيمان المتخصصين فيه أنهم إنما يخدمون بتخصصهم هذا الأصل والمصدر الذي تنتهي إليه هذه الحضارة، ألا وهو القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

وللمسلمين تجاه هذا التراث مواقفُ نتبينها من خلال غالب توجُّهاتهم، فمنهم من يقدس التراث الإسلامي - غير القرآن وصحيح السنة - جملةً وتفصيلًا، فلا يناقش ما ورد فيه من علائق تنتمي لعصورها وتنجذب إلى ظروف اجتماعية وعلمية وسياسية، كان لها أثرها الفعَّال في تأليفها وانتشارها وتوارثها.

ومنهم من يرفض التراث الإسلامي جملة وتفصيلًا، بل يرى أن الانشغال بتحقيقه هو لون من الرجعية، والتخلف والتظليم، وما يقارب هذه الألفاظ والمعاني، وهؤلاء لا سلف في فكرنا الإسلامي إلا أبناء ابن سلول ومن لف لفَّهم وسار سيرتهم، وانتهج سبيلهم.

ومنهم من يقف موقفًا وسطًا، فينظر إلى التراث الإسلامي نظرة تنطلق من قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فطالَما أن التراث الإسلامي - غير القرآن الكريم وصحيح السنة - نتاج بشرى فلابد أن فيه ما تقبله العقول بالرضى والتسليم، وفيه ما تناقشه وتصوبه وتعدله، وفيه ما ترفضه لأنه كان صالحًا لوقته وزمانه، كونه نتاجًا بشريًّا صرفًا، ولم يعد صالحًا لزماننا هذا.

وعلى الجانب الآخر من المفكرين المسلمين بجملتهم يقف المبشرون والمفكرون من المستشرقين الذين اهتموا بالتراث الإسلامي في بلاد المسلمين أينما وجدوه من بلاد العرب أو من غيرهم، وللمستشرقين وجهة معلومة وخطوات مرسومة، ومناهج

موروثة، وخطط محددة؛ أرادوا الوصول من خلالها إلى نتائج لا لصالحنا نحن ورثة للتراث الإسلامي وإنما لصالحهم هم كورثة لأمم هُزمتْ عسكريًّا وحضاريًّا أمام الجيوش والحضارة الإسلامية في سابق العصور، ويريدون من الفكر الإنساني بعامة والإسلامي بصفة خاصة ألا يروا في الإسلام دينًا إلهيًّا نقيًّا مُنقِذًا للفكر الإنساني من ظلمه وظلماته، ولا يرون فيما تركه المسلمون الأوائل من تراث قِيَمًا حضارية هادية إلى سواء السبيل.

ومن هنا كانت نظرة المستشرقين للتراث الإسلامي إنما هي نظرة انتقائية يخدمون من خلالها هدفهم الرئيس وهو غزو العقل الإسلامي وتشتيته وتمزيقه وتركه تائهًا متخبطًا في دياجير الأفكار التي سينشرونها من خلال ما يقدمونه من تحقيقات لكتب محددة من تراث المسلمين أنفسهم، وعلى هذا فليكن كتاب: "الفتوحات المكية لابن عربي" الذي تبرأ المسلمون من فكره ورموه بالزندقة موضع احتفاء شديد من المستشرقين، فيحققوه وينشروه في طبعات قشيبة في لبنان ومصر وغيرها!

وليكن كتاب: "الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني"، أو كتاب "كليلة ودمنة"، وما على شاكلتهما أكثر أهمية وأوقع في الاختيار عند المستشرقين من سواها، بل ليكن ما ورد في مثل هذه الكتب من أخبار ضعيفة أو موضوعة أو مكذوبة أشد ثقة وأكثر قبولًا، وأقبلَ حجة عند علماء المستشرقين مما ورد في كتب صحيح السنة كالبخاري ومسلم وغيرهما!

ومن هنا كان مبدأ أو منهج الانتقائية في تحقيق التراث من الأهمية بمكان، فلا مشاحة أن يكتب حولها العلماء والباحثون؛ ليتجلى من خلال هذه الكتابات مواقف المخلصين لتراث أمتهم من علماء المسلمين، ويتكشف من خلالها مكر وخبث الخبثاء من الكارهين لتراثنا الداعين إلى فرقتنا واختلافنا، والحريصين على تخلُّفنا، ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩]، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تمهيد

مفهوم: " الانتقائية، والتحقيق، والتراث

تمهيد

مفهوم: " الانتقائية، والتحقيق، والتراث"

أما الانتقائية:

فمن النُّقاوةُ، وهي أَفضلُ ما انتَقَيْتَ من الشيء، ونَقِيَ الشيءُ بالكسر يَنْقَى نَقاوةً بالفتح ونَقاءً فهو نَقِيٌّ أي نظيف والجمع نِقاءٌ ونُقَواء الأَخيرة نادرة وأَنقاه وتَنَقَّاه وانْتَقاه اختاره ونَقَوةُ الشيء ونَقاوَتُه ونُقاوتُه ونُقايَتُه ونَقاته خِيارُه يكون ذلك في كل شيء الجوهري نُقاوة الشيء خِياره.

والمقصود بحثنا حرص الباحث، أو العالم على اختيار المخطوط الذي سيقوم بتحقيقه، والاختيار يكون كاشفا عن الهدف والتخصص، والقصد، والعزم، الذي يسعى إليه هذا المحقق من خلال إقدامه على تحقيق هذا المخطوط وترك سواه.

أن " القرآن الكريم، وصحيح السنة النبوية الشريفة " لا يخضعان ألبتة لفكرة الانتقاء، ويلحق بهما أيضًا القيم الإسلامية الثابتة التي تتصل بهما اتصالا مباشرا كـ " حرية الاعتقاد، والعدل، والشورى...إلخ".

كما أننا لابد أن ندرك أن فكرة الانتقاء نفسها عندما مارسها بنو إسرائيل في كتاب ربهم " التوراة " كانت سُبّة عليهم فقال لهم ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

ولا يغتر بعضنا بما قام به أسلافنا من علماء الحديث بتنقية السنة النبوية مما شابَها من الدخيل، فذلك منهم كان سببًا من أسباب حفظ السنة الشريفة، والقائمون بذلك كانوا يمتلكون من أسباب العلم بالسنة النبوية الشريفة ما لا نمتلك نحن بعضا

منه، كما أن فكرة الانتقائية المعاصرة لا تتوسل بالأسباب التي تؤدى إلى حفظ السنة أو تطبيقها بقدر ما تتجه إلى معارضتها أو التعريض برجالها.

ولهذا فإن كان ولابد من فكرة الانتقائية - بعد الاحتراز السابق - فهي فكرة لا يقوم بها إلا أفذاذ العلماء الربانيين الذين يتخيرون للأمة الإسلامية من تراثها البشرى - من غير الوحي الإلهي - ما تصلح به شأنها.

وأما لفظ "التحقيق" فلم يرد في القرآن الكريم، وإنما ورد بعض مشتقاتها نحو " حقيق"، و" حق "، و"الحق " ففي حوار موسى عليه السلام مع فرعون قال الله على لسان سيدنا موسى عليه السلام: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٥]، ففي هذا القول من موسى عليه السلام لفرعون، إعلان منه وتأكيد أنه مرسل من رب العالمين، وأنه - عليه السلام - متثبت من قول الحق لا يحيد عنه قيد أنملة وذلك بعرض ما لديه من بينات وأدلة على نبوته ورسالته. وهذا المعنى الذي جاء في هذه الآية الكريمة هو الذي حدى بعلماء اللغة أن يقولوا: إن التحقيق لغة، هو إثبات المسألة بالدليل(١).

وأحقَّ الأمرَ: أوجبه وصيره حقًا لا يشك فيه.

ومحقق: أي محكم، يقال: " كلام محقق" أي محكم منظم.

وحق الأمر يحق - بكسر الحاء وضمها في المضارع - حقًّا؛ أي ثبت ووجب.

وحق له - بفتح الحاء وضمها - ثبت له أو أثبت له.

وأحق الله الحق: أي أظهره وأثبته للناس.

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون - التهانوي - طبعة كلكتا سنة ١٨٦٢م نقلا عن كتاب تحقيق التراث: منهجه وتطوره - د/عبد المجيد دياب صـ ١٣٣.

والحق:

هو الثابت الصحيح، وهو ضد الباطل. وهو لفظ كثير الورود في القرآن الكريم، والمراد على سبيل التعيين يختلف باختلاف المقام الذي فيه الآيات، ومعناه العام لا يخلو من معنى الثبوت والمطابقة للواقع(٢).

ويقول أبو البقاء: " التحقيق: تفعيل، من حق بمعنى ثبت.

وقال بعضهم: التحقيق لغة: رجع الشيء إلى حقيقته، بحيث لا يشوبه شبهة، وهو المبالغة في إثبات حقيقة الشيء بالوقوف عليه. والتحقيق: مأخوذ من الحقيقة، وهو كون المفهوم حقيقة" ثم يقول: والتدقيق: إثبات دليل المسألة على وجه فيه دقة"(٣).

فالتحقيق - على هذا - من الناحية اللغوية يعنى: التثبت، والإثبات، والتنظيم والإحكام، والتصحيح والتدقيق والإفهام.

وأما التحقيق من الناحية الاصطلاحية فنلمح بعض جوانبه في كلام الجاحظ، فقد روى عنه أنه لما قدم إلى بغداد أهدى إلى محمد بن عبد الملك الزيات ـ وزير المعتصم ـ نسخة من كتاب سيبويه، فقال له ابن الزيات: أو ظننت أن خزائننا خالية من هذا الكتاب؟

فقال الجاحظ: هذه النسخة بخط الفراء، ومقابلة الكسائي، وتهذيب عمرو بن بحر الجاحظ.

فقال له ابن الزيات: هذه أجل نسخة توجد وأغربها، ووقعت منه أجمل موقع"(٤) ولذلك قال المستشرق روزنتال: "إن العالم المسلم كان يفوق زميله العالم الغربي في تقدير قيمة المخطوط التي تحمل توقيع مؤلفها"(٥).

---

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢٨٨/١، نقلا عن تحقيق التراث لدياب صـ ١٣٣.

(٣) كليات أبي البقاء صـ١٢٢ طبعة بولاق١٢٣٥هـ نقلا عن تحقيق التراث صـ١٣٤.

(٤) انظر إنباء الرواة ٣٥١/٢.

(٥) منهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ـ د/ فرج الله عبد الباري رحمه الله صـ ٦٤.

لقد شرح الجاحظ بأسلوبه الأخاذ بعض جوانب التحقيق في وصفه للنسخة المحققة التي بين يديه لكتاب سيبويه مبينا ما تميزت به هذه النسخة عن سائر نسخ الكتاب، وهذه المميزات هي في ذاتها تمثل أهم خطوات التحقيق قديما وحديثا، فالنسخة التي تحدث عنها الجاحظ مفتخراً على صاحبه كانت بخط الفراء تلميذ المؤلف، ومقابلة عالم نحوي بارز وهو الكسائي، ومراجعة وتهذيب أديب ولغوي بارع وهو الجاحظ.

وعلى الرغم من أن الجاحظ لم يُعرِّف التحقيق بالصورة المعهودة لدينا والتي غالبا ما نجدها تلتزم أسلوبا محددا فإنه قد تناول في كلماته تعريف التحقيق من خلال خطواته العملية، لا من خلال الكلام عنه.

وأما إذا أردنا أن نقف أمام الأساليب المعهودة في مجال التعريفات الاصطلاحية للعلوم فقد عرف الأستاذ عبد السلام هارون التحقيق بقوله: " الكتاب المحقق هو الكتاب الذي صحَّ عنوانه، واسم مؤلفه، ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه"(٦).

ومن الملاحظ أن هارون - رحمه الله - قد تناول في تعريفه بعض إجراءات التحقيق، كـ " تصحيح عنوان الكتاب"، و" تصحيح نسبة الكتاب إلى مؤلفه" وهذه خطوات وإجراءات في التحقيق نفسه، ولعل العبارة الأخيرة من تعريفه والتي يقول فيها: " وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها صاحبه" أصابت المعنى المراد من التحقيق، فهو ـ في رأيي: محاولة المحقق الجادة المخلصة في إخراج الكتاب المخطوط في أفضل صورة كان يقصدها مؤلفه.

وهذا لا يبعد كثيرًا عما قاله علماء التحقيق وشيوخهم فهو: "بذل الجهد، واستقصاء البحث، بغية الوصول إلى حقيقة ما قاله مؤلف النص، أو قل: هو عملية

---

(٦) تحقيق النصوص ونشرها الأستاذ عبد السلام هارون صـ ٤٥، ٤٦.

مركبة تقتضي إخراج نص مضبوط يكون على الصورة التي قاله عليها صاحبه، أو أقرب ما يكون إلى ذلك على الأقل، والذي اتفق عليه شيوخنا المحققون من ذلك: أن يؤدى نص الكتاب أداءً صادقًا، كما وضعه مؤلفه كمًّا وكيفًا بقدر الإمكان"(٧).

هذه أقوال الدكتور عبد المجيد دياب الذي حاول استقصاء الأقوال حول هذا التعريف الاصطلاحي، فكان التكرار الذي لا مفر منه، لكن هناك من الباحثين من يرى أن التحقيق ما هو إلا ولادة جديدة لمخطوط قديم، وقد أعجبني هذا التصوير عندما قال به الدكتور خير الله سعيد، إذ يقول: "والتحقيق كما هو معروف هو عملية إعادة ولادة لكتاب مخطوط، ينحاز له المحقق بشكل معرفي، ومن موقف خاص، يؤكد انحيازه نحو هذا "القسم" أو ذاك، من التراث، بمعنى أن المحقق إذا كان "أديبًا" فإنه ينحاز إلى "المخطوطات الأدبية " وإذا كان لغويًّا فإنه يتجه صوب "معاجم وكتب اللغة"، وإذا كان مؤرخًا فإنه ينحدر إلى "كتب التاريخ"، وهكذا في بقية الاختصاصات.

ونظرًا لكون التراث العربي- الإسلامي" هو مزيج من كتب الدين واللغة والتاريخ والأدب والفلسفة والفقه والسير والأعلام، استوجب على المنشغلين بالتراث، إدراك هذه الموسوعية والتعامل معها بشكل معرفي دقيق، يحقق الأمانة العلمية والدافع الشخصي في العمل الواحد، ضمن تلك الاختصاصات الآنفة الذكر.

فبالإضافة إلى تقديم النص القديم فانك تلمس كتابًا جديدًا معاصرًا قدم لك، مشروحًا ومفصلًا ومبوبًا، وخاليًا من كل الأخطاء، بل مضافاً أليه الإشارات الهامشية تبين لك، مقصد الكاتب، ودلالة النص، وبُعد المرمى، والغاية والهدف، إضافة إلى تعريفك بالأعلام الواردة في النص القديم وإلى نوع الاستدراكات المعرفية التي قد لا تخطر ببالك، وتفتح أمامك قواميس اللغة ومعاجم البلدان،

(٧) قطوف أدبية دراسات نقدية في تحقيق التراث العربي، حول تحقيق التراث ـ عبد السلام هارون ـ صـ١٣، وقد نقلها عنه عبد المجيد دياب في كتابه تحقيق التراث صـ ١٣٤.

وشوارد المفردات، وتقابلات المعاني، وتبيان تعارضات الشعر من المنزحف أو ما فيه إقواء، وتعرف اسم الشاعر واسم البحر الشعري، والمناسبة والحدث، فتشعر أن هناك نصًا جديدًا فعلًا أمام ناظريك فتأخذك الدهشة وتنبهر بأسلوب المحقق، وتسأل نفسك! كيف استطاع هذا المحقق من جلي النص وإظهاره بهذا الشكل؟...

ثم يقول: ولما كانت المخطوطات العربية هي التي بقيت تحت أيدينا، وتعاملنا معها يخضع إلى مبدأ الأمانة العلمية، كمبدأ أخلاقي-معرفي، يجري التعاطي به مع المخطوطات، والتزامًا بهذا، كان الورَّاقون يقابلون نسخهم على أصلٍ صحيح موثوق به على اعتبار أن المقابلة متعينة للكتاب الذي يرام الانتفاع به...

ونظرًا لكون المحقق هو (ورَّاق معاصر) اتخذ لنفسه مسارا ومنهاجا، هو ارتضاه، وخطط له، وطمح إليه في نشاطه الذهني، وحيث جيّش أهواءه النفسية نحو ذلك المشرب، وانحدر نحو ساقيه التراث. لأنه يعي بأن منهله بحر عميق، ويحتاج إلى غواص ماهر كي يستخرج الجواهر من صدف القاع، والتراث، سهل ممتنع، والتحقيق فيه يحتاج الى مؤهلات معرفية عالية، تنسجم وهذا السهل الممتنع، ومن هنا أيضًا تكون خطط المحقق في تحقيق أي نص تراثي تخضع لخطة مرتبة يضعها المحقق ويسير عليها، ويعلنها على الملأ في بدء مقدمات التحقيق، ويلتزم بها، ويحاسب عليها، من قبل النقاد والمشتغلين في التراث، لأنه يضع في "هذه المقدمة" المفاتيح المعرفية للولوج في باب عمله المُحَقق")[٨].

وهذا البيان الواضح لكثير من جوانب علم التحقيق من الدكتور خير الله سعيد، والذي ألمح في نهايته إلى أهم أركان علم التحقيق وهو المحقق، فقد اتضح لنا مما سبق من تعريفات أن التحقيق علم يقوم على أركان ثلاثة هي: المحقق وهو أهمها، والكتاب المخطوط، ثم منهج التحقيق.

---

[٨] (٨) مقال منشور على موقع " تحقيق التراث " للدكتور خير الله سعيد بالشبكة العنكبوتية للمعلومات " النت "بتصرف.

ومن المفيد هنا ـ في هذا التمهيد ـ أن نقف أمام مفهوم التراث لغة واصطلاحا أيضًا:

التراث:

هو ما ورثه الإنسان عمن سبقه، وذلك لأن " الوراثة والإرث: انتقال قنية ـ أي ما يُقتنى ـ إليك عن غيرك من غير عقد، ولا ما يجرى مجرى العقد، وسمى بذلك المنتقل عن الميت فيقال للقنية الموروثة: ميراث وإرث وتراث، وأصل الإرث والتراث: وراث، فقلبت الواو ألفا وتاء، قال تعالى:

﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ [الفجر: ١٩] وقال عليه الصلاة والسلام: "اثبتوا على مشاعركم فإنكم على إرث أبيكم" أي أصله وبقيته[٩]، ويقال: ورثت مالا عن زيد وورثت زيدا: قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ١٦].

﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ﴾ [النساء: ١١]

ويقال لكل من حصل له شيء من غير تعب: قد ورث كذا" وسمى الله الجنة ميراثًا فقال: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]، وسمى النبوة ميراثًا فقال: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٦]: يعنى وراثة النبوة، والعلم والفضيلة دون المال، فالمال لا قدر له عند الأنبياء حتى يتنافسوا فيه، بل قلما يملكون المال، ألا تر أنه عليه الصلاة والسلام قال:" إنا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة"[١٠].

---

[٩] في إسناده بعض الكلام وقد أخرجه أبو داود (١٩١٩) وانظر أخبار مكة للفاكهي ٣٦/٥ رقم (٢٧٩٠).

[١٠] الحديث صحيح، أخرجه البخاري ٦٧٢٥، ومسلم ١٧٦١.

فقد قيل ما تركناه هو العلم، وهو صدقة تشترك فيها الأمة، وما روى عنه صلى الله عليه وسلم من قوله:" العلماء ورثة الأنبياء" فإشارة إلى ما ورثوه من العلم[١١]، ويقال: ورثت علماً من فلان، أي: استفدت منه، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ [الشورى: ١٤]، وقال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢][١٢]، وقد أضاف الصحابي الجليل أبو هريرة معنى أخر من معانى التراث عندما خاطب الصحابة رضوان الله عليهم قائلا: " أنتم هنا وميراث محمد صلى الله عليه وسلم يوزع في المسجد..." فلما انطلقوا إلى المسجد لم يجدوا سوى حلق الذكر والقرآن الكريم"[١٣].

ومما سبق يتبين لنا أن التراث من الناحية اللغوية هو بصفة عامة:

- كل ما تركه الإنسان مما يقتنى.
- كل ما يتركه الإنسان من الشعائر الدينية والاجتماعية.

ثم خصَّص الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم من بين هذا الموروث العام: ميراث النبوة والعلم والكتاب والجنة، ويقصد بالكتاب جنس الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل والقرآن، وقد أشار إلى هذه الأشياء في القرآن لتميزها عما سواها، ونبه الصحابي أبو هريرة - إضافة إلى ما سبق - إلى الذكر وتلاوة القرآن.

---

[١١] ضعيف الإسناد، أخرجه ابن ماجه بسند ضعيف رقم (٢٢٣).

[١٢] راجع المفردات للراغب الأصبهاني بتصرف صـ٦٧١،٦٧٢- مكتبة فياض مصر ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

[١٣] مجمع الزوائد للهيثمي ١٢٣/١ وقال الطبراني في الأوسط إسناده حسن نقلا عن التراث والمعاصرة - ضياء العمرى صـ٢٧.

وأما معنى التراث في الاصطلاح فلا يبعد عن ذلك كثيرًا، "فالتراث الإسلامي هو ما ورثناه عن آبائنا من عقيدة وثقافة وقيم وآداب وفنون وصناعات وسائر المنجزات الأخرى المعنوية والمادية، ومن ثم فلن يقتصر التراث على المنجزات الثقافية والحضارية والمادية بل إنه يشمل الوحى الإلهي: "القرآن والسنة" الذي ورثناه عن أسلافنا"[١٤].

[١٤] التراث والمعاصرة ـ د/ أكرم ضياء العمري صـ ٢٧،٢٨ ـ سلسة كتاب مجلة الأمة.

المبحث الأول:

فكرة الانتقائية في تحقيق التراث:

المبحث الأول: فكرة الانتقائية في تحقيق التراث:

في التمهيد تحدثت عن تعريف الانتقائية، والتراث لغة واصطلاحا، وانتهيت إلى أن **التراث لغة هو:**

١ ـ كل ما تركه الإنسان مما يقتنى.

٢ـ كل ما تركه الإنسان من الشعائر الدينية والاجتماعية.

ثم خصص الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم من بين هذا الموروث العام: ميراث النبوة والعلم والكتاب والجنة، ويقصد بالكتاب جنس الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل والقرآن، وقد أشار إلى هذه الأشياء في القرآن لتميزها عما سواها ونبه الصحابي أبو هريرة ـ إضافة إلى ما سبق ـ إلى الذكر وتلاوة القرآن.

وأما معنى التراث في الاصطلاح فلا يبعد عن ذلك كثيرًا، ولعل تعريف الدكتور أكرم ضياء العمري للتراث الإسلامي هو أقرب المعاني لموضوعنا، يقول العمري:

"فالتراث الإسلامي هو ما ورثناه عن آبائنا من عقيدة وثقافة وقيم وآداب وفنون وصناعات وسائر المنجزات الأخرى المعنوية والمادية، ومن ثم فلن يقتصر التراث على المنجزات الثقافية والحضارية والمادية بل إنه يشمل الوحى الإلهي: "القرآن والسنة" الذي ورثناه عن أسلافنا" [١٥].

الانتقائية وتعريف التراث:

وهذا التعريف الذي يختاره الدكتور/ ضياء العمري يلحظ فيه اعتبار الوارثين، فالوارث هنا لا يقصد به الفرد وإنما يقصد به الأمة؛ ولذلك فالموروث هنا لا يقصد به الجانب المادي فحسب وإنما يقصد به القيمة المعنوية والحضارية والثقافية أيضًا.

---

[١٥] التراث والمعاصرة ـ د/ أكرم ضياء العمرى صـ ٢٧،٢٨

ولذلك فالاختيار هنا متعمد إذ من خلاله نستبعد فكرة الانتقائية من التراث الإلهي المقدس " القرآن والسنة" بمعنى أنه لا يجوز لنا أن ننتقى بعض سور القرآن أو بعض آياته ونترك بعضها...

إن فكرة الانتقائية التي طرحها العمري هنا في حديثه عن التراث تحتاج إلى شيء من الإيضاح:

فهناك مستويان من الانتقاء:

الانتقاء على مستوى التراث الإسلامي بعامة ونعنى به إخراج القرآن وصحيح السنة من دائرة الانتقاء، وهذا ما عبر عنه العمري بالاحتراز على الكتاب والسنة دون غيرهما"(١١٣)

وهنا لابد من احتراز داخل الاحتراز وهو: من المجمع عليه أن القرآن ليس كالسنة في هذه المسألة، فلا يخضع القرآن للانتقاء منه فيؤخذ بعضه ويترك بعضه فكله نص إلهى مقدس.

وأما السنة فيجب النص على "صحيح السنة"، وليس كل السنة: الصحيح منها، والضعيف، والموضوع.

وهذا الانتقاء قام به المحدثون قديما فصنفوا دواوين السنة إلى صحيح وحسن وضعيف وموضوع... إلخ، ولا مشاحة بعد هذا التصنيف أن يقوم جهدنا في تحقيق السنة على اختيار كتب الحديث الصحيح والحسن دون غيرهما، أو على صحيح الحديث وحسنه أينما وجدا، وأن نترك الحديث الموضوع، فلا يكون مجالا للاعتبار العلمي أو القيمي في إحياء تراثنا وتحقيقه.

وأما المستوى الثاني من الانتقاء:

فيكون داخل الجهد البشرى الذي نتج حول القرآن والسنة " من اجتهادات فكرية أثمرها العقل المسلم خلال تفاعله مع الوحى الإلهي، ومحاولته فهم الكتاب والسنة والاستنباط منهما.

إذ لا ضرر في الانتخاب أو الانتقاء أو النقد عند التعامل مع المنظومات الفكرية الفقهية ما دام الدين يدخل في التراث ونحن نعيش الدين وقيمه ومقاييسه، وإن علاها غبش حينا..."[١٦].

ومع هذا الإيضاح الذي سقناه لكلام العمري إلا أننا لا نغفل عن التحذير الذي سلكه في قضية الانتقاء بصفة عامة عندما تحدث عن الانتقائيين وموقفهم من التراث الإسلامي فقال:

" ويقف بين الاتجاهين ـ يقصد الاتجاه الداعي لقبول التراث بكل ما فيه والاتجاه الرافض للتراث بكل ما فيه ـ أصحاب الحلول الوسطية التوفيقية يمثلون تيارا ثقافيا انتقائيا للتوفيق بين قيم التراث والحضارة الغربية، وهو يقترب مرة من الاتجاه السلفي عندما يسلم بالوحى الإلهي نفسه، ويقترب أخرى من الاتجاه الرافض للتراث بمعناه الشمولي عندما يجعل الانتقاء يمتد إلى الوحى الإلهي نفسه، ويعامله مثل بقية المعطيات الأخرى.

وأحيانا يشتد التناقض في أذهان أصحاب هذا الاتجاه الانتقائي فيحاول الخلاص باقتراح الفصل بين القرآن والسنة باعتبارهما وحيا إلهيا، وبين النتاج الثقافي والحضاري في التراث ليتم الانتقاء والنقد بحرية دون المساس بالعقيدة الدينية... والحق أن هذا الرأي يبعد عن واقع المشكلة الحقيقية لأن الفصل غير ممكن عمليا،

---

[١٦] المصدر السابق صـ ٢٩.

ولأن النقد يمكن أن يتعرض للعقيدة والشريعة من خلال نقد قيم التراث المستمدة من الوحى الإلهي"[١٧].

وهذا الرأي من العمري يناقض ما انتهى إليه من تقسيم للتراث، وبخاصة فيما يتصل بالسنة النبوية، وذلك بوضعه احترازا يخرج القرآن والسنة من دائرة الانتقاء، فالسنة قد خضعت نصوصها للون من ألوان الانتقاء، وهو انتقاء الصحيح منها وتمييزه عن الضعيف والموضوع ـ كما سبق أن أشرنا ـ وكان ذلك في خدمة السنة وصونها من أيدى العابثين، بل يرى كثير من علمائنا ـ وقد أصابوا ـ أن ما قام به علماء السنة قديما كالبخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب كتب الصحاح من انتقاء صحيحها وتمييزه؛ إنما كان ذلك بتوفيق الله سبحانه وتعالى لحفظ السنة من التبديل والتحريف والنسيان والضياع.

وأما إذا كان ما يتخوف منه الدكتور العمري هو التعرض للقيم الثابتة بالقرآن أو صحيح السنة لفكرة الانتقاء، فإن كان ذلك مقصده فلاشك أنه تخوف صحيح، وفى موضعه تمامًا؛ لأن إخضاع القيم الثابتة بالقرآن أو بصحيح السنة لفكرة الانتقاء لاشك أن ذلك سيتبعه انتقاص من كمال دين الإسلام، واهتزاز لثوابت المجتمع المسلم وصبغته القرآنية الإسلامية المتفردة.

---

[١٧] المصدر السابق ـ العمري صـ ٢٤، ٣٠.

المبحث الثاني:

إشكاليات التراث الإسلامي في ثقافة المسلمين المعاصرين

المبحث الثاني:

إشكاليات التراث الإسلامي في ثقافة المسلمين المعاصرين

الإشكالية الأولى: نظرة المسلمين للتراث الإسلامي

هذا الموقف السابق من الدكتور أكرم ضياء العمري في بيانه لاتجاهات الباحثين المسلمين والعرب تجاه التراث الإسلامي يعكس إشكاليات في النظرة إلى التراث الإسلامي باعتبار الناظرين إليه من المسلمين ومن غيرهم من المستشرقين.

فأما من المسلمين فقد رصد الباحثون ثلاثة اتجاهات في النظر للتراث الإسلامي وتقبله للطرح كخطاب ثقافي معاصر:

الاتجاه الأول:

الرافضون للتراث الإسلامي:

وهو الاتجاه العلماني، ويرى أصحابه أن التراث الإسلامي هو خطاب تخلفي ظلامي أو تظليمي - على حد تعبيرهم - في مقابل الخطاب التقدمي التنويري وهو الخطاب العلماني، " والتراث من وجهة نظرهم يعد معوقا للوصول إلى النهضة التي لن تحدث - في رأيهم - إلا بمتابعة خطا الحضارة الغربية، وهو طريق مضمون النتائج"؛ عمري صـ ٢٢،٢٣، وقد قال بعضهم: "خذوا الغرب بخيره وشره وحلوه ومره"، والمتفحص في خطاب أقطاب هذا الاتجاه، وفيما أثاروه من قضايا فكرية، وفيما أنتجوه من كتب علمية، وبصورة فيها كثير من الإنصاف - لا يعيه أن يكتشف الأزمة الفكرية الحادة التي وقع رموز هذا الاتجاه في حبائلها، ولم يستطيعوا التخلص منها، ألا وهي:

إن هؤلاء قطعوا صلتهم بتراثهم الإسلامي بوعي منهم أو بدون وعى، في الوقت الذي أقبلوا فيه على الفكر الغربي بكل ما أمكنهم من قوة وفهم ومتابعة وتمجيد وتبجيل قد يصل إلى حد التقديس أحيانا!

ولم يشفع لهم هذا التوجه القوى عند أساتذتهم من الغرب ليعتبروهم من الغربيين أمثالهم، بل كانت منزلتهم عند أساتذتهم الغربيين ـ كما صورها محمود شاكر: "أرأيت قط رجلًا واحدًا من غير الإنجليز أو الألمان مثلًا، مهما بلغ من العلم والمعرفة كان مسموع الكلمة في آداب الإنجليزية وخصائص لغتها، وفى تاريخ الأمة الإنجليزية، وفى حياة المجتمع الإنجليزي، يدين له علماء الإنجليز بالطاعة والتسليم؟"[١٨].

وهذا يعنى أنهم في الوقت الذي خسروا فيه أو قطعوا جذور العودة إلى تراثهم الإسلامي، لم يستطيعوا الوصول بعلاقاتهم الثقافية المتابعة لهوى المفكرين الغربيين أن يقنعوا سادتهم الغربيين هؤلاء بعطائهم الفكري أو الثقافي في مجتمعاتهم فضلًا عن يؤثروا في مجتمعات الغرب، فكان هذا النتاج الثقافي المتذبذب المتأرجح الذي لا يعلن عن علمانيته الغربية اللادينية خوفًا ونفاقًا لمجتمعاتهم الإسلامية، ولا هذا الخطاب الإسلامي الذي يعلن عن عودتهم إلى تراثهم الإسلامي بأصوله المرتبطة بالقرآن الكريم وصحيح السنة.

وهذه الصورة عبر عنها الدكتور محمود الطناحي بقوله: "نعم، شغلنا بأدب الغرب وفكر الغرب شغلا تاما، حجزنا عن النظر في موروثنا الضخم الذي أبدعته وحملته أجيال وفيه، على امتداد أربعة عشر قرنا من الزمان، فكان حالنا في ذلك كالذي قاله إبراهيم بن هَرْمة:

كتاركة بيضَها بالعَراءِ = ومُلْبِسةٍ بيضَ أخرى جناحَا[١٩]

---

[١٨] العلمانية والإسلام وجها لوجه، والتراث والمعاصرة ـ العمري ـ صـ ٢٢، ٢٣.

[١٩] مدخل إلى تاريخ تحقيق التراث للطناحي صـ ١٢.

وأتباع هذا الاتجاه لا يحاربون العودة إلى التراث الإسلامي فقط بله كل ما يتصل بمظهر الإسلام في السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو الدين أو حتى تحقيق التراث!

ولذلك فإنه يعارض تحقيق التراث الإسلامي حتى ولو في صورة التكديس أو التغليف أو إعادة الطباعة. فضلا عن فهمه والاستنباط منه والدعوة لما فيه من قيم.

الاتجاه الثاني: المقدسون للتراث الإسلامي:

وقبل أن نتحدث عن أتباع هذا الاتجاه، فإنهم ـ إحقاقًا للحق ـ نجد منهم من يصل بالتراث إلى درجة التقديس، ومنهم من يرفض هذا التقديس تماما ويقصره على الوحى الإلهي القرآن الكريم وصحيح السنة، وأما ما أنتجته العقول البشرية فهو قابل للنقد والاختيار والانتقاء، بل وللرفض أحيانا.

والمتهمون بهذه الصفة ـ صفة التقديس للتراث ـ هم المريدون وأتباع أقطاب التصوف، وبخاصة فيما ورثوه من أوراد أو متون وضعها هؤلاء الأقطاب، فعلى الرغم من أن هذه الأوراد أو تلك المتون التي قد تكون قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وضعها بشر يصيبون ويخطئون إلا أنها في عرف أهل الطريقة لا تخضع للنقد، أو الأخذ والرد، وكلما كانت هذه الأوراد والمتون مغرقة في القدم كانت أكثر تقديسا.

فإذا كان المتصوفة وأتباع الطريقة يقدسون التراث بدرجة ما وبخاصة لبعض كتب التراث المخطوط، فإن الأمر يكون بصورة أكثر تقديسا إذا انتقلنا إلى التراث الإسلامي الشيعي، فقد أثر مبدأ العصمة في مذهبهم العقدي على نظرتهم لكل ما هو موروث عن أئمتهم من تراث مخطوط وقد انسحبت عصمة الأئمة عندهم على ما سطروه في كتبهم المخطوطة القديمة، فليس الأمر عندهم قابل للنقد أو الاختيار أو الانتقاء.!! وهذا لا يخالف النص القرآني وصحيح النص النبوي فحسب وإنما يخالف صريح العقل أيضًا.

ومن صور التقديس للتراث الإسلامي التي لا ترق إلى ما نراه عند الشيعة أو المتصوفة يأتي بعض أتباع الاتجاه السلفي، ويمكننا أن نطلق على موقف هؤلاء التقدير الزائد للتراث، أو التبجيل والتقديم لنصوص التراث الإسلامي من النتاج البشرى عما سواه.

وقد ذكر الدكتور/ بكر زكى بعض مظاهر تقديس التراث الإسلامي عند أتباع هذا الاتجاه منها:

* الرجوع إلى الماضي في كل جديد.

*إنزال المذهبيات العقدية والفقهية والسياسية والأخلاقية منزلة الدين نفسه.

* الدفاع عما لا يستقيم الدفاع عنه عقلا ولا شرعا، مثل التمسك بالأحاديث الضعيفة.

* الرغبة في فرضه بالإكراه.

* اعتبار التجديد والمجددين مارقين عن الإسلام.

* إعادة طرح ما عفا عليه الزمن وما لا يتأتى طرحه.

تلك هي العناوين التي ذكرها الدكتور بكر جاعلا منها مظاهر لتقديس التراث عند الاتجاه السلفي، والحقيقة أن هذه العناوين لا تعكس موقف هذا الاتجاه بصورة صحيحة، فمن المعروف أن الاتجاه السلفي يقوم في أصله على ما أسسه علماء الحديث في العصور الذهبية الأولى التي أقبل فيها علماء الحديث على السنة النبوية كلها بالدرس والفحص والتمييز بين صحيحها وضعيفها والموضوع فيها، ودرسوا توثيق رجال الحديث من ناحية الثقة والصدق والكذب...إلخ مما يعرف بعلم الجرح والتعديل، وهو علم يقوم في أساسه على منهج نقدى لأحوال الرجال لا تعرف سائر علوم الأرض مثله!

وكتب هؤلاء العلماء في كل شيء يتصل بالسنة النبوية إن سندا وإن متنا، ناقدين لكل ما وقع تحت أيديهم مما يجرح في صحة الحديث المروى عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم، ولا نبالغ إذا قلنا إن مدرسة الحديث النبوي النقدية التي قامت على عمل هؤلاء لازالت تحتاج إلى من يكشف عن أصولها وأسسها وما نتج عنها، وأن كثيرًا من فروع الدراسات الإسلامية كالتفسير والفقه والأصول في حاجة ماسة إلى مثل هذا المنهج النقدي للأحاديث النبوية التي يعتمد عليها المفسرون والفقهاء والأصوليون.

وأما دعوى أن أصحاب هذا الاتجاه ـ السلفي ـ يتمسكون بالأحاديث الضعيفة، فلا واقع لهذه الدعوى، وهم أصحاب السلاسل العلمية التي تميز بين صحيح الحديث وضعيفه.

كما أن الدعوى بأنهم لا يقبلون التجديد غير صحيحة أيضًا، ففي فكر ابن تيمية وما في كتابه: " درء تناقض العقل والنقل"[٢٠]، ما يسقط هذه الدعوى أيضًا ولا يختلف باحثان في مجال الدراسات الإسلامية أن ابن تيمية ـ وهو من هو عند أصحاب الاتجاه السلفي ـ كان من المجددين البارزين في تاريخ الفكر الإسلامي.

ولا يعني هذا أن موقف هذا الاتجاه ناحية تحقيق التراث مرضيا في كل أحواله، فلا شك أن حبهم للتراث جعل بعضهم يغض الطرف عما لا يجب تحقيقه من التراث الإسلامي، وبخاصة فيما يتصل بعلوم الحديث، والعقيدة، والفقه.

الاتجاه الثالث: الوسطيون وموقفهم من التراث الإسلامي:

يتمثل هذا الاتجاه في كثير من رموز الفكر الإسلامي المعاصر، وهم الرموز الذين كانوا من صناع حركة الإحياء للتراث الإسلامي على بصيرة، كما كانوا صناعا لأجيال الصحوة الإسلامية في سائر أقطار الأمة الإسلامية.

والتراث الإسلامي عند هؤلاء يوضع في مكانه الوسطى الصحيح فلا إفراط في التقديس ولا تفريط في الإهمال، وهم يتفقون جميعا على أن القرآن الكريم وصحيح

---

٢٠ كتاب " درء تناقض العق والنقل " لابن تيمية

السنة نصوص إلهية لا تخضع مطلقا للانتقاء أو الاختيار أو النقد وإنما هما المصدر الصحيح السليم الذي يقاس عليه سائر ما أنتجه علماء الإسلام من فكر وعلم في شتى فروع الإسلام.

لقد طرح أقطاب هذا التيار تساؤلات عميقة أمام حركة إحياء التراث، بل أمام أنفسهم عندما شاركوا في تحقيق بعض كتب التراث، فقد شغلهم حاضرهم الذي يعيشونه فلم يجتروا مفاخر الماضي، ولم يحلقوا في أوهام المستقبل، وإنما

أرادوا من تراثهم الماضي أن يعمق جذورهم الحاضرة، ويدفعهم بخطى حقيقية ثابتة نحو المستقبل، فتساءلوا:

ماذا يقدم لنا التراث المحقق في مشاكلنا المعاصرة؟ ماذا يقدم التراث المحقق في مشاكلنا الاجتماعية، والسياسية، والتشريعية، والثقافية، والعلمية، واللغوية، وهجرة العقول الإسلامية؟[٢١]، ماذا يقدم التراث في هذه المشاكل الآنية؟

لقد انتقل أصحاب هذا الاتجاه من مرحلة بعث التراث الإسلامي - أى تحقيق نصه - إلى مرحلة تفكيكه وتركيبه ومساءلته عما حواه من قيم وفوائد يمكن أن تتفاعل مع واقعنا فتؤثر فيه وتوجهه إلى السبق الحضاري في عالمنا المعاصر.

ولقد سمعت من بعض علمائهم قولة ماكنت أدرك مغزاها حتى رأيت لها واقعًا متحركًا في حياة الناس، فقد قال لي بعضهم إن غيرنا يحقق تراثنا الإسلامي ويقدمه لنا في حلله القشيبة وعلينا نحن قراءته وتثوير ما في بطونه مما حواه من القيم الإسلامية التربوية الرفيعة لنربي الأمة عليها كما رباها النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته.

هكذا فعل المصلحون في مصر وفى تركيا؛ فأعادوا لهما وجههما الإسلامي المشرق.

---

[٢١] التراث والمعاصرة للعمري صـ ٤٥-٩٣.

وبعد معاناة طويلة، ومرور سنوات من التيه بدأت تظهر تباشير وضع الرؤى النقدية الفاعلة في توضيح الطريق أمام مفكري الأمة في قضية التراث، فقد اهتم أقطاب هذا الاتجاه في توجيه همة الأمة للاهتمام بمهام عظيمة منها:

* المهمة الأولى: إعادة صياغة مناهج العلوم الاجتماعية، من تاريخ واجتماع واقتصاد وسياسة وتربية وعلم نفس، وكذلك الأدب ونظرياته النقدية وفق مبادئ الإسلام.

* المهمة الثانية: لابد من وضع استراتيجية للبحث في العلوم الإسلامية من أجل نموها ولحاقها بالفكر المعاصر من حيث تناول مشاكل الحياة المعاصرة بشمول وعمق، وإبداع وابتكار، ويحتاج ذلك إلى رسم المسارات، وتحديد الأهداف، وتجنيد الوسائل.

* المهمة الثالثة: إيجاد هيئة تدريس في الجامعات والمعاهد العليا تتمكن من تلبية احتياجات التعليم الإسلامي.

الإشكالية الثانية: علاقة المستشرقين بالتراث وأثرها في الفكر الإسلامي المعاصر:

توطئة:

حركة الاستشراق حركة ضخمة متجذرة في حيز الزمان والمكان، أما في حيز الزمان فقد عاد البعض بنشأتها إلى تساؤلات اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ومحاولاتهم الطعن على الدين الجديد، ويرى البعض الآخر أنها نشأت بالأندلس عندما أقبل الأوربيون الإسبان وغيرهم على علوم العربية ليتعرفوا عليها، ويرى فريق ثالث أنها تعود في نشأتها إلى أيام الصليبيين أي الحملات الصليبية على العالم الإسلامي، ولكن يبدو أن القرار اللاهوتي الرسمي الذي صدر عن مجمع فيينا الكنسي عام ١٣١٢م كان موضع اتفاق كثير من الباحثين في نشأة حركة

الاستشراق، وبخاصة أنه أعطاه حيزا مكانيا وذلك عندما تضمن هذا القرار إنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية[٢٢].

ولهذه الحركة صورها المتعددة كمًّا وكيفًا، وما كتبه الباحثون عنها من بين مؤرخ لها أو ممجد لأعمالها، أو مفند لأهدافها، أو ناقد لمناهجها، أو راصد لنتائجها... إلخ صار من الضخامة بالصورة التي لا يمكن أن نعالجها ههنا في هذه العجالة التي أردنا من خلالها أن نتحدث عن تحقيق التراث الإسلامي ودور المستشرقين في هذه المسألة بصفة خاصة.

أثر أعمال المستشرقين في الفكر الإسلامي المعاصر:

هناك خلاف بين ممن قاموا بتحقيق التراث الإسلامي، أو ممن كتبوا عن تاريخ تحقيق التراث الإسلامي من باحثي المسلمين عن دور المستشرقين في هذه المسألة ما بين مقدر لدورهم ورافع من شأنهم، ومن يقف على النقيض من ذلك فيرى أنهم ما فعلوا ذلك إلا لمصالحهم السياسية والعسكرية والتجارية والدينية والتبشيرية والتنصيرية وتأتى المصالح العلمية في آخر هذه المصالح.

وهناك من يقول: يجب علينا أن نعرض أعمالهم على ثوابتنا الإسلامية ومناهجنا العلمية التي تعلمناها من ديننا فمن كان منهم محسن شكرناه ومن كان منهم مسيء رددنا عليه إساءته بعلم وحكمة وخلق إسلامي رفيع.

ولهذا فإننا في هذا العجالة سنتحدث عن حركة الاستشراق حديثا مقتضبا لانبسط فيه القول، وبخاصة بعد أن رصد بعض علماء المسلمين الذين عاشوا في كنف المستشرقين وفى ديارهم عمرا طويلا أن حركة الاستشراق حاليًّا قد تغيرت أهدافها،

---

[٢٢] الاستشراق ـ إدوارد سعيد صـ٨ نقلا عن الاستشراق في السيرة النبوية صـ ١٧، والموسوعة الميسرة صـ ٣٣.

وتغيرت مناهجها من دراسة التراث الإسلامي إلى دراسة المجتمعات الإسلامية نفسها وسنرى ذلك عما قريب في كلمات الأستاذ قاسم السامرائي.

تعريف الاستشراق:

ولعل من نافلة القول إن نعرف مفهوم الاستشراق فعند البعض يعنى "معرفة الشرق ودراسته، غير أن هذا المصطلح الجغرافي قاصر عن إعطاء معنى حقيقي لمفهوم الاستشراق"؛ إذ إن لكلمة الشرق مدلولا معنويًّا، فهي تدل على الشروق ولا يقصد به شروق الشمس، وإنما يقصد به شروق العلم والمعرفة والإرشاد"[٢٣].

وفى تعريفات أخرى: "الاستشراق تيار فكرى تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي معبرا عن الخلفية الفكرية للصراع بينهما"[٢٤].

ومن الباحثين من كان أكثر تحديدًا في تعريف الاستشراق فعرفه بقوله: "هو علم العالم الشرقي، وهو بتحديد دقيق ميدان من ميادين الدراسة المتفقهة، وله عدة دلالات ومفاهيم منها: دلالة جامعية أكاديمية تطلق على كل من يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه أو بحثه، ودلالة فكرية تطلق على أسلوب الفكر القائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب، ودلالة نمطية تعنى أنه أسلوب غربي يهدف إلى السيطرة على الشرق وبسط السيطرة عليه"[٢٥].

---

[٢٣] الاستشراق صـ ١٦.

[٢٤] الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة صـ٣٣

[٢٥] راجع الاستشراق الإسرائيلي ـ د/ محمد جلاء إدريس صـ ١٠، والاستشراق والمعرفة ـ إدوارد سعيد صـ٣٧، و موقف الاستشراق اليهودي من الإسلام ـ محمد الغندور صـ ٧ رسالة جامعية.

اليهود والاستشراق:

والمستشرقون باحثون غربيون وأمريكيون غالبًا يبحثون في التراث والفكر الإسلامي، لكن من الملاحظات الهامة التي أثارتها الدراسات التي بحثت عن دور اليهود في حركة الاستشراق أن اليهود كان لهم دورهم البارز في تشكيل وتوجيه هذه الحركة بل وكان علماء اليهود هم الأساتذة الرواد الموجهين لمن بعدهم من المستشرقين.

وعلى الرغم من صعوبة العثور على الوثائق التي تفصّل ذلك إلا أن بعض العلماء والباحثين المسلمين كالعقاد ومن بعده الدكتور / محمد جلاء إدريس، والدكتور/حمدي زقزوق، وغيرهم قد رصدوا هذا التسلل اليهودي عبر هذه الحركة الاستشراقية، وإذا كان " من الصعب الحصول على نصوص صريحة في هذا الصدد، وذلك لأن المراجع التي تتحدث عن الاستشراق وتطوره قد أغفلت الحديث عن هذا الجانب، فإننا نعتقد أن أسباب إغفال الحديث عن هذا الموضوع يرجع إلى أن المستشرقين اليهود قد استطاعوا أن يكيفوا أنفسهم ليصبحوا عنصرًا أساسيًّا في إطار الحركة الاستشراقية الأوربية المسيحية، فقد دخلوا الميدان بوصفهم الأوربي لا بوصفهم اليهودي، وقد استطاع جولد تسيهر في عصره وهو يهودي مجري أن يصبح زعيم علماء الإسلاميات في أوربا بلا منازع، ولاتزال كتبه حتى اليوم تحظى بالتقدير العظيم والاحترام الفائق من كل فئات المستشرقين.

وقد يكون مرد ذلك إلى اليهود أنفسهم الذين رأوا أن الدعاية المقنَّعة أخطر من المعلَنة، وذلك حتى لا تكثر الجبهات الرافضة حولهم، لأن الغربيين يعرفون طبائع اليهود، فإذا أعلنوا حملاتهم مصرحين بأسمائهم فلا ثقة فيما يروجون، ولهذا عملوا بوصفهم مستشرقين أوربيين حتى لا يعزلوا أنفسهم، وبهذا يكونون قد حازوا مكسبين:

الأول: فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها.

والثاني: تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام، وهى أهداف تلتقى مع أهداف غالبية المستشرقين المسيحيين"[٢٦].

والتعقيب الذي يجب أن ننتبه إليه هنا هو قول الله عز وجل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

أهداف الاستشراق:

إن المستشرقين أقدموا على التراث الإسلامي يكتبون عنه ويتناولون قضاياه بدءا من مصادره: القرآن والسنة، ومرورا بكل فروعه تقريبًا من عقائد وفقه وسيرة وآداب وقصص، ووصولا إلى الكتابة عن اللغة العربية، والأدب العربي بكل فروعه، وكانت كتاباتهم إما ترجمة كما فعلوا في ترجمتهم لمعاني القرآن الكريم، أو تأليفا عن قضية من قضايا الإسلام، أو طباعة ونشرا لبعض كتب التراث، أو تحقيقا وطباعة ونشرا للبعض الآخر، والسؤال الذي يجب أن نسأله لأنفسنا قبل أن نحدد موقفنا بالرفض أو القبول لما يقدمه هؤلاء المستشرقون هو: لماذا يهتم هؤلاء المستشرقون من غير المسلمين بالتراث الإسلامي؟

---

[٢٦] راجع ما يقال عن الإسلام صـ١٤ـ للعقاد، والاستشراق والخلفية الفكرية صـ ٦٠ ـ د/ محمد حمدي زقزوق، والاستشراق الإسرائيلي ـ د/ محمد جلاء إدريس صـ ١٠،، و موقف الاستشراق اليهودي من الإسلام ـ محمد الغندور صـ ٩ رسالة جامعية.

إن معرفة الهدف الذي من أجله أتعب المستشرقون أنفسهم وبذلوا أموالهم وأضاعوا أعمارهم في سبيل نشر وتحقيق التراث الإسلامي جدير بأن يلقى ضوءًا كاشفًا وصحيحًا على النتائج التي حققوها من خلال هذا الهدف.

إن هناك عددًا من الفروض يمكن أن نطرحها للإجابة على هذا التساؤل منها:

- إنهم يريدون الوقوف على أهم أسس وركائز الحضارة الإسلامية، ليتمكنوا من كيفية مواجهتها وهدمها بأسلحة من داخلها ومن صنع أبنائها.

- إنهم يريدون من خلال استدعائهم للتراث الإسلامي وتحقيقه أن ينفثوا روح الفرقة وإشاعة الانحرافات الفكرية، والتمزق العقدي القائم على المذهبية وذلك بإثارة النعرات المذهبية القديمة التي عفا عليها الزمن.

- إنهم مارسوا حركة الإحياء هذه في تراثهم الفكري المرتكز على كتبهم الدينية المحرفة - كالتوراة والإنجيل - ولم يروا بأسًا أن يستكملوا حركة الإحياء هذه بممارستها في الفكر الإسلامي أيضًا.

- إنهم جنود موجهين من خلال قادتهم العسكريين الذي استعمروا بلاد الإسلام فترات زمنية ورأوا من خلالها أن الإسلام لا يموت في قلوب أصحابه لكنه ربما يمرض أو يضعف ثم سرعان ما يعود أقوى وأثبت مما كان، فكان هذا باعثًا للبحث عن أسباب قوة الإسلام من خلال تحقيق تراثه المخطوط.

- إنهم يريدون للمسلمين أن يتواصلوا مع تاريخهم القديم ويبعثوا ما فيه من قيم حضارية تقودهم إلى نهضة في مستقبل أيامهم!!!

وهناك من الباحثين من أجمل هذه الفروض وقسمها إلى أهداف دينية (تبشيرية وتنصيرية) وأهداف سياسية استعمارية، وأهداف ثانوية علمية وتجارية.

وباستثناء الهدف الأخير لأنه لا واقع له في فكر المستشرقين ولا في أعمالهم؛ فإن بقية الأهداف تحتاج منا قدرا من التفصيل وذلك لأنها ستؤثر حتما على منهج

التعامل الاستشراقي مع التراث الإسلامي كما أنها ستؤثر أيضًا على نظرة مفكري المسلمين وعلمائهم لأعمال المستشرقين تجاه التراث الإسلامي: ما بين قابل لها كلها أو رافض لها كلها أو من تقوم نظرته على النقد والتمحيص لأعمالهم فيقبل الصحيح ويرفض السقيم، ولقد كان الجهد الذي بذله المستشرقون في بعث هذا التراث الإسلامي مبعث تساؤل عند كل الباحثين المسلمين وغير المسلمين على السواء، يقول الدكتور حمدي زقزوق: "بعد أن تعرفنا على طرف من أعمال المستشرقين يستبد العجب ببعضنا وتعتريه الدهشة لموضوع الاستشراق ويتساءل:

ما الذي يدعو الباحث الغربي إلى بذل كل هذا الجهد والعمر والمال في دراسة عالم غريب عنه.. يدرس لغاته التي تختلف تمامًا عن لغته، ويحاول جاهدًا فهم آدابها وعقائد أهلها وتاريخهم؟ ما الذي يحمله على ذلك وقد كان في وسعه أن يوجه كل تلك الجهود لدراسة مجالات أوروبية أخرى يمكن أن تظهر فيها مواهبه وإمكاناته الفكرية من ناحية، ومن ناحية أخرى تكون أكثر فائدة له من الناحية العلمية؟

وكما يقول نجيب العقيقي: (فلو أن أحدهم انصرف طوال حياته إلى حل الكلمات المتعارضة، أو جمع طوابع البريد النادرة، أو كتابة القصص البوليسي، بدل التحقيق والترجمة والتصنيف، لخرجت به من تلك الجزائر المتعددة التي يعيش فيها المستشرقون إلى العالم الرحب في القرن العشرين، ولعادت عليه برخاء من العيش وشهرة بين الناس وسلامة من النقاد).

ويعتقد نجيب العقيقي أن الدافع العلمي كان وراء كل الجهود الاستشراقية، والعقيقي - على الرغم من أنه عربي - يعتبر نفسه واحدًا من المستشرقين، فقد صنف نفسه في كتابه (المستشرقون) تحت عنوان المدرسة المارونية بوصفه واحدًا من أتباع هذه المدرسة التي أسهمت بجهودها في مجال الاستشراق.

ولكن المستشرق الألماني المعاصر (رودي بارت) يرى أن الدافع العلمي في الحركة الاستشراقية بدا أظهر ما يكون اعتبارًا من منتصف القرن التاسع عشر.

ويعني هذا في رأيه أن معظم الكتابات الاستشراقية قبل ذلك كان ينقصها الطابع العلمي. يقول (بارت):

(إننا في دراستنا لا نسعى إلى نوايا جانبية غير صافية، بل نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة).

ولكن الأمر على الرغم من ذلك ليس أمرًا عاديًّا أو من قبيل المصادفة، فاتجاه الأوروبيين لدراسة الشرق وإقامة مؤسسة ضخمة لذلك هي مؤسسة الاستشراق لابد أن تكون وراءه أهداف معينة.

ويستطيع كل باحث عن تاريخ الاستشراق أن يتبين بما لا يدع مجالًا للشك أن الهدف الديني كان وراء نشأة الاستشراق ودعم الدراسات الإسلامية والعربية في أوروبا، وقد صاحب الاستشراق طوال مراحل تاريخية، ولم يستطع أن يتخلص منه بصفة نهائية. وحتى نهاية القرن التاسع عشر لم يكن الاستشراق قد حرر نفسه من إسار الخلفية الدينية التي اشتق منها أصلًا إلا بدرجة ضئيلة، والهدف الديني للاستشراق كان يسير منذ البداية في اتجاهات ثلاثة متوازية تعمل معًا جنبًا إلى جنب، وتتمثل هذه الاتجاهات فيما يأتي:

١- محاربة الإسلام والبحث عن نقاط ضعف فيه، وإبرازها والزعم بأنه دين مأخوذ من النصرانية واليهودية، والانتقاص من قيمه والحط من قدر نبيّه... إلخ.

٢- حماية النصارى من خطره بحجب حقائقه عنهم، واطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين.

٣- التبشير وتنصير المسلمين، وقد كان قرار (فيينا) الكنسي في ١٣١٢م وقرار إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كامبردج بعد ذلك بأكثر من ثلاثة قرون، وتأسيس مجلة العالم الإسلامي The Muslim World عام ١٩١١م عن طريق صمويل زويمر رئيس المبشرين في الشرق الأوسط، والذي تُوفي في أوائل الخمسينيات

من القرن الحالي ـ كانت هذه بعض الشواهد الظاهرة في اتجاه خدمة الهدف الديني والعمل من أجله في محيط الاستشراق.

وإذا كان الهدف الديني لم يعد ظاهرًا الآن في الكثير من الكتابات الاستشراقية فليس معنى ذلك أنه قد اختفى تمامًا، إنه لا يزال يعمل من وراء ستار بوعي أو بغير وعي. فمن الصعب على معظم المستشرقين النصارى ـ المشتغلين بدراسة الإسلام ـ وأكثرهم متدينون، أن ينسوا أنهم يدرسون دينًا ينكر عقائد أساسية في النصرانية ويهاجمها ويفندها مثل عقيدة التثليث وعقيدة الصلب والفداء، كما أنه من الصعب عليهم أيضًا أن ينسوا أن الدين الإسلامي قد قضى على النصرانية في كثير من بلاد الشرق وحل محلها.

يقول (برنار لويس): (لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية).

ويقول (نورمان دانييل): (على الرغم من المحاولات الجدية المخلصة التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكُتَّاب النصارى من الإسلام فإنهم لم يتمكنوا أن يتجردوا منها تجردًا تامًّا)، ولكن الهدف الديني لم يكن هو كل شيء، فقد كانت هناك أيضًا أهداف أخرى للاستشراق تقترب أو تبتعد من الهدف الديني. ومن هذه الأهداف ما يأتي:

- أهداف سياسية:

ظهرت تلك الأهداف السياسية واتسع مداها باتساع رقعة الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين. واضطرت الدول الاستعمارية أن تعلم موظفيها في المستعمرات لغات تلك البلاد، وأن تدرس لهم آدابها ودينها ليعرفوا كيف يسوسون هذه المستعمرات ويحكمونها.

- أهداف تجارية:

كان الغربيون مهتمين بتوسيع تجارتهم والحصول من بلاد الشرق على المواد الأولية لصناعاتهم التي كانت في طريقها للازدهار. ومن أجل هذا وجدوا أن الحاجة ماسة للسفر إلى البلاد الإسلامية، والتعرف عليها ودراسة جغرافيتها الطبيعية والزراعية والبشرية، حتى يحسنوا التعامل مع تلك البلاد، وتحقيق ما يصبون إليه من وراء ذلك من تحقيق فوائد كثيرة تعود على تجارتهم وصناعتهم بالخير العميم.

١- أهداف علمية:

وقد كانت مقصد بعض من ظهروا في عصر التنوير في أوروبا، فمنهم من قرأ الكتب الدينية وفحصها وأدرك أن رسالة الإسلام قريبة من الرسالات السماوية ومؤيدة لما جاء في كتبها من إيمان بالله وكتبه ورسله ودعوة إلى الحق والخير والصلاح، ولكن هؤلاء كانوا قلة"[٢٧].

ولاشك أن هذه الأهداف متداخلة لا يمكن الفصل بينها، فالمستشرق الذي يسعى لهدف ديني قد يخدم هدفًا سياسيًّا ويجني مكسبًا ماليًّا تجاريًّا ويحقق شهرة علمية بين أنداده وفي عالمه.

---

[٢٧] انظر الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري د / زقزوق ـ بتصرف واختصار شديد من الصفحات ٣٧-٤٠.

أصناف المستشرقين:

ولهذا السبب كان لزاما علينا أن نحاول تفكيك هذه الطائفة من المستشرقين ـ بعد أن عرفنا أهدافهم ـ إلى مجموعات، حسبما نجده بين أيدينا من أعمالهم فكما سبق أن ذكرنا أن غالبيتهم من النصارى لكن القادة والبارزين فيهم من اليهود وبعضهم من لادين له، أو علماني المذهب يرى أن الدين لا أثر له في حياته العلمية وتوجهاته الفكرية، وربما كان من بينهم من هو متعصب شديد التعصب لديانته فهو خادم أمين لتوجهاتها فيما يحققه أو يؤلفه من أعمال، وربما وجدنا من بينهم من لا يعنيه الجانب الديني أصلا إنما يشغله بروزه العلمي وتَمَيُّزه الأدبي، فلا يخشى من قول الحقيقة سواء أرضيَ الآخرون بها أم سخطوا.

ولقد حاول الدكتور زقزوق بما لديه من معرفة كبيرة وعلم واسع بأصناف المستشرقين وذلك لكونه عاش في كنفهم وفى ديارهم ـ في ألمانيا تحديدًا ـ أن يكون منصفًا في تصنيفهم وأن يستخرج من بين فئاتهم المتعددة من يتصف بالموضوعية والإنصاف تجاه الإسلام والتراث الإسلامي إلا أنه ـ وللأسف ـ لم يجد إلا النادر القليل منهم:

وكان تقسيمه لهم كما يلي:

(أ) فريق من طلاب الأساطير والغرائب، من هؤلاء الذين افتروا على الإسلام واخترع خيالهم المريض حوله الأقاصيص الكاذبة.

(ب) فريق من المرتزقة الذين جندوا دراساتهم وبحوثهم في خدمة المصالح الغربية الاقتصادية والسياسية والاستعمارية.

(ج) وفريق من المتغطرسين الذين أخذتهم العزة بالإثم وأعمتهم الضلالة عن النزاهة العلمية، فراحت أقلامهم تقطر حقدًا وعداوة وطعنًا في الإسلام من أمثال: (بدويل) و(بريدو) و(سيل) من القرن الثامن عشر.

(د) فريق تعرض للإسلام باسم البحث العلمي ولكنهم انحرفوا عن جادة الصواب فراحوا يتلمسون نقاط ضعف في الإسلام، ويشككون في صحة الرسالة الإسلامية، وفي التوحيد الإسلامي، وفي القرآن الكريم من حيث مصدره أو نصه، وفي الحديث من حيث صحته، وفي قيمة الفقه الإسلامي الذاتية، وفي قدرة اللغة العربية على التطور... إلخ.

(هـ) وهناك فريق من المستشرقين التزم في دراسته للإسلام بالموضوعية والنزاهة العلمية وأنصف الإسلام والمسلمين. وقد أدى الأمر ببعضهم إلى اعتناق الإسلام.

(و) وهناك فريق من المستشرقين توفر على دراسة اللغة العربية وفقه اللغة والأدب العربي أو اشتغل بالمعاجم وما شابه ذلك، ولهؤلاء بحوث قيمة مفيدة"[٢٨].

ومن الملاحظ صحة ما قلناه عن ندرة المنصفين الموضوعيين من المستشرقين تجاه الإسلام والتراث الإسلامي.

المبحث الثالث: بعض أعمال المستشرقين في التراث وأثرها على الفكر الإسلامي:

وبعد هذه الوقفة التي طالت بعض الشيء أمام أهداف المستشرقين وأصنافهم فلنا أن ننظر فيما قدموه من أعمال في التراث الإسلامي نظرة متفحصة:

نعم، قام المستشرقون بطباعة وتحقيق الكثير من كتب التراث الإسلامي، ولقد أذهلني هذا الكم الهائل الذي رصده كثير من علمائنا في هذا الشأن، ومن الإنصاف أن نقول: إنهم قدموا لنا من تراثنا ما لم نسع نحن ـ ورثته ـ لتقديمه وطباعته ونشره وتحقيقه، ومهما قلنا من أسباب كانت ومازالت وراء هذا العقوق لتراثنا فلا يدفع عنا تقاعسنا وتخلفنا في هذا الشأن.

---

[٢٨] المصدر السابق. صـ ٤٠،٤١ "بتصرف".

ولقد نتج عن هذا الموقف الجسور من المستشرقين في إقبالهم على تراثنا طباعة وتحقيقا ونشرا تشرذم غريب في ساحتنا الفكرية فانقسمنا إلى فرق وشيع واتجاهات ربما خدمنا بها المستشرقين أكثر مما كانوا يأملون في أهدافهم الظاهرة أو المستترة!

فمنا فريق نادى بأعلى صوته بأن نحذو حذو المستشرقين في مناهجهم وخطواتهم ورؤاهم لتراثنا كله وبخاصة الإسلامي منه، ومنا فريق رفض كل أعمال المستشرقين جملة وتفصيلا، ومنا فريق توسط في الأمر فقبل ما وافق ديننا وثقافتنا ومبادئ تراثنا نفسه ورفض ما يتناقض مع شيء من ذلك.

فهناك من الباحثين من كتب قائلًا:

" إنك لا تكاد تجد بحثا عن الاستشراق لا يرجع الاستشراق إلى الاستعمار والتنصير والمكر والصراع، وما شابه ذلك من كلمات تخرجه عن المنهج العلمي الذي يدعيه المؤلف، ويرجوه القارئ، وكأن الاستشراق لا عمل له ولا هدف سوى الكيد للإسلام، فترادف في مفهومنا مصطلح الاستشراق مع الكفر، والعداء والصهيونية والماسونية. وهذا الفهم القاصر للاستشراق سهل لنا تعليق كل أسباب انحطاطنا وتخلفنا على المشجب متعدد الألوان، وحدد لنا مسبقا أساليب بحثنا فيه التي أبعدت كثيرًا من الأبحاث عن الموضوعية العلمية.. إن من ينكر علاقة الاستشراق بالاستعمار والتنصير يرتكب خطأ لاشك فيه، ولكن من يقصر الاستشراق على كونه مساعدا للاستعمار والتنصير لا يقل خطؤه عن الخطأ الأول، فالاستشراق وإن كان قد نشأ بالفعل في أحضان الكنيسة، وكان الكيد للإسلام أهم أهدافه، إلا أن هذه النشأة الأولى قد فقدت كثيرًا من تأثيرها على تطور هذا العلم، حتى أنه قد وصل هذا التأثير إلى مرحلة في غاية الضآلة"[٢٩]، ويكفينا هنا أن نسجل من هذا الرأي نقاطا أساسية يمكن الاتفاق عليها وهي:

---

[٢٩] السيد الشاهد: الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين مجلة الاجتهاد عدد ٢٢ السنة السادسة ١٩٩٤م صـ ١٩١-١٩٢ نقلا عن الاستشراق في السيرة صـ ٢٥.

إن الاستشراق نشأ في أحضان الكنيسة.

وأن أهم أهداف الاستشراق كان الكيد للإسلام.

وأننا لن نرم كل المستشرقين بالكفر والزندقة والماسونية والصهيونية إلخ مع يقيننا أن هذه المعتقدات تؤثر بلا شك في توجهات هؤلاء.

كما نرصد أيضًا أن هذا الرأي وما يشابهه من الآراء والأقاويل التي رددها تلاميذ المستشرقين في جامعاتنا ومعاهدنا ومنتدياتنا الثقافية وراء تراجع الكثير من علماء المسلمين عن بيان الموقف الصحيح من أعمال المستشرقين التي قدموها في التراث الإسلامي.

وأحسب أن من ثمرات هذه الأقاويل أن نرى عالم اللغة العربية اليمنى الدكتور عباس السوسوة يصور أعمال المستشرقين في نشر وتحقيق التراث كخبز الشعير بالنسبة للمسلمين يأكلونه ويذمونه! (١٣٠)

ومن ثمراتها أيضًا أن يهاجم الدكتور صلاح الدين المنجد شيخ المحققين الأستاذ عبد السلام هارون لأنه لم يرجع إلى مناهج المستشرقين في التحقيق![٣٠]

ومن ثمراتها أيضًا أن نجد سكوتا مطبقا عن تقييم أعمال المستشرقين عند كل من العالمين الجليلين: الدكتور / رمضان عبد التواب في كتابه تحقيق التراث، والدكتور السيد رزق الطويل في كتابه مناهج البحث العلمي[٣١]!

ولكي نقف أمام هذا الغبار الكثيف الذي أثارته هذه الأقاويل في ساحتنا العلمية والثقافية والفكرية علينا أن ندرك أن هناك فرقا كبيرا وبونا شاسعا بين قيام المستشرقين بطباعة التراث الإسلامي وإخراجه للنور وتحقيقه ونشره، وهذه خطوة

---

[٣٠] المستشرقون وخبز الشعير المذموم ومتفرقات ـ د/ عباس على السوسوة ـ مجلة جذور ـ صـ٢٩ـ العدد ١٢ـ السنة السادسة ـ ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

[٣١] انظر ما سبق صـ (١٣٢).

ليست سهلة ولا قليلة، وبين قراءة هذا التراث وتقديمه لقرائه من خلال مناهج وعيون وأفكار ومعتقدات استشراقية غربية معادية لهذا التراث ولكاتبيه بل ولورثته! نعم، حقق المستشرقون السيرة النبوية لابن هشام وتاريخ الطبري وغيرهما من كتب السيرة والتاريخ، ولكن كيف قرؤوا سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف قدموها للعالم الأوربي والعالم الإسلامي؟

شهادة بعض المستشرقين على أعمالهم:

وللإجابة على هذه التساؤلات لابد من الوقوف على أمرين:

الأمر الأول: شهادة بعض المستشرقين أنفسهم في بيان ما دسوه من سموم وأخطاء في أعمالهم مما يناقض الإسلام وعقائده وأصوله.

الأمر الثاني: تقديم دراسة واقعية لبعض أعمالهم في التراث الإسلامي، أما الأول فنسمع شهادة من مراد هوفمان على أعمال المستشرقين حيث يقول في كتابه " الإسلام في الألفية الثالثة ـ ديانة في صعود: ما زالت العقلية التي نتجت عن الحروب الصليبية تشكل وتحدد العلاقات المشتركة بين الغرب والإسلام... إن آباء ومؤسسي فكرة الحروب الصليبية استعانوا لإشعال الكره ضد كل ما هو إسلامي - خاصة ضد محمد - بحملة متقنة لنشر الجهل بكل ما هو إسلامي، وحجب كل المعلومات الصحيحة، ونشر معلومات مغلوطة بين الناس، فعلى الرغم من وجود ترجمة سليمة في جوهرها للقرآن باللغة اللاتينية منذ عام "١١٤٣م"، فإن ما قيل للفرسان الصليبيين بخصوص إيمان المسلمين بإله واحد أحد، أي: "لا إله إلا الله"، حُوِّرَ إلى "لا إله إلا محمد"!

لقد صور محمد للفرسان على أنه ساحر أو صنم، حتى قيل: إنه كاردينال أصابه الفشل، ومن ثم كان حقده على المسيحية عندما لم يتم اختياره لكرسي البابوية!

وقد أقرت آن ماري شميل ـ وذلك عن حق ـ ما يلي: أثار محمد ـ أكثر من غيره من الشخصيات التاريخية ـ الذعر والكره والاحتقار لشخصه في العالم المسيحي، وما زعم دانتي من أن محمدًا في الجحيم، ولعنه إياه ـ أي لمحمد ـ إلا تعبيرًا عن شعور عدد لا يحصى من مسيحيي العصور الوسطى.

وإلى يومنا هذا تخجل الكنيسة الكاثوليكية وتخشى أن تعترف بمحمد قائدًا للإسلام ـ وهو الدين ـ الذي اعترفت به كإحدى طرق النجاة...

وهذا التفكير ليس بالتفكير الجديد أو الحديث، بل إنه يعكس تفكير المستشرقين في أسوأ صورة كما اعتنقه ومارسه مستشرقون بريطانيون وفرنسيون وهولنديون في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

لقد خدموا مصالح القوى الاستعمارية، مثلهم مثل شخصية لورانس العرب الشهيرة. ولقد عمل هؤلاء المستشرقون على زيادة المعرفة بالإسلام للجهات التي خدموها، ولكنهم عرقلوا المعرفة الحقيقية ومنعوا العلم بها عن عامة الناس بسبب الأحكام المسبقة ضد الإسلام.

لقد قام عدد من المستشرقين الألمان بوصف الإسلام من منطلق إبراز ما يفتقده الإسلام حتى يكون أوربيًّا![٣٢]

وشهادة أخرى من غوستاف دوجا يبين صلة المستشرقين بالاستعمار بصورة مباشرة فيقول: "إن المستشرقين مناطون بمهمة جديدة، إذ عليهم وهم يجوبون فلك العلم الخالص، أن يهتموا بالعالم الحاضر، في الوقت الذي تكتسح فيه أوربا كل المناطق الشرقية، ويقوم أمر تكوين عملاء حضاريين، وتلقينهم العلوم الآسيوية، قصد غاية سياسية وتجارية... وعلى الحكومات الواعية بمصالحها الحقيقية أن تعرف

---

[٣٢] الإسلام: ديانة في صعود ـ مراد هوفمان صـ ٩١ ـ ٩٨ بتصرف.

كيف تشجع وتستخدم رجال العلم والإخلاص أولئك... فالأمر يتعلق بإمداد هذه الشعوب من فتوحاتنا الفكرية والأخلاقية والمادية"[٣٣].

دراسات نقدية لأعمال المستشرقين:

إن هذه الشهادات من المستشرقين على أعمالهم تكفى لمن أراد أن لايتهم القوم بالكشف عن نياتهم والبحث في مكنون صدورهم، ولكننا ومسايرة لمنهج البحث العلمي ـ المظلوم من أدعيائه ـ فإننا نحيل القارئ إلى دراسات نقدية تفصيلية قام بها باحثون مسلمون لمؤلفات علمية قدمها أئمة المستشرقين وأساتذتهم لنرى من خلالها كيف قرأ " وات، وفلهاوزن، وبروكلمان " السيرة النبوية وكيف قدموها للقراء في الغرب والشرق؟ فمن الدراسات الجادة في هذا المضمار كتاب:

الدراسة الأولى: ـ الاستشراق في السيرة النبوية ـ دراسة تاريخية لآراء

" وات، وبرو كلمان، وفلها وزن " مقارنة بالرؤية الإسلامية للدكتور/ عبد الله محمد الأمين النعيم من إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ـ فيرجينيا بأمريكا ـ ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

وهى دراسة علمية جادة تناولت فكر هؤلاء الثلاثة من كبار المستشرقين وأساتذتهم ورصدت ـ بقدر كبير ـ من الإنصاف ما وقع فيه هؤلاء من أخطاء علمية فادحة في كتاباتهم عن السيرة النبوية من منظور استشراقي.

وقد رصدت هذه الدراسة كثيرًا من النتائج الخطيرة في كتابات هؤلاء المستشرقين عن السيرة النبوية من أهمها:

١ـ إن المستشرقين قد اعتمدوا في دراستهم للسيرة على المناهج التالية: "منهج الأثر والتأثر، المنهج العلماني، المنهج المادي، المنهج الإسقاطي، منهج النفي والافتراض

---

[٣٣] الاستشراق في السيرة صـ ٢٤ بتصرف، وراجع شهادة ثالثة مهمة في صـ ٢٨،٢٩.

واعتماد الضعيف والشاذ، منهج البناء والهدم"، وهذه المناهج في دراسة السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي لابد أن تأتي بنتائج خاطئة تمامًا، لماذا؟

"لأن هذا المناهج قد تتوافق مع الوقائع التاريخية، لكنها لا تتوافق مع وقائع السيرة النبوية التي تتأبى بعض أجزائها على الخضوع لمقولات العقل والمنطق؛ إذ "إن الفهم الجاد للسيرة يقتضى منهجًا يقوم على ثلاثة شروط: أولها الإيمان بالله، واحترام المصدر الغيبي لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وحقيقة الوحي الذي تقوم عليه، وثانيهما: اعتماد موقف موضوعي بغير حكم مسبق، يتجاوز كل الإسقاطات التي من شأنها أن تعرقل عملية الفهم، وثالثها: الإحاطة بأدوات البحث التاريخي، بدءًا باللغة وجمع المادة، وانتهاء بطرائق المقارنة والموازنة والنقد والتركيب"[٣٤].

وقد أدى اعتماد هؤلاء الثلاثة من المستشرقين في فهمه للسيرة من خلال مناهجهم التي وضوعوها وابتعادهم عن الشروط المنهجية التي يجب الاعتماد عليها في دراسة السيرة إلى النتائج التالية:

١- إن المستشرق مهما ادعى الحيادية والتجرد العلمي فإنه لا يستطيع - بحكم مؤثرات عديدة ضاغطة على اتجاهات تفكيره - أن يقدم تفسيرا موضوعيا لمعطيات السيرة ووقائعها.

٢- إن دراسات وات وبروكلمان لم تعترف بكل ما ذكرته المصادر الإسلامية عن وقائع السيرة النبوية في الفترة من ميلاده عليه السلام إلى حين زواجه من السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وهى فترة تناهز الخمسة والعشرين عاما ولها أهميتها البالغة، وهو ما يعنى إنكار مقولات بحيرا الراهب ونسطورا الراهب في التبشير بنبوة محمد صلى الله علي وسلم.

---

[٣٤] مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية ١١٨/١ نقلًا عن الاستشراق في السيرة النبوية صـ٣٦.

٣- إن المنهج العلماني الذي اعتمد عليه ثلاثتهم "وات وفلهاوزن وبروكلمان أدى بهم إلى إنكار مصدر الوحى للنبي صلى الله عليه وسلم، وأنه من عند الله وأرجعوه إلى نشاط ذهني أو تخيل خلاق! ونتج عن هذا إنكار كل أحداث السيرة المتعلقة بالقرآن، ولهذا استبعد وات أن يكون محمد أميًّا، وإنما أخذ النبوة من مثقفي عصره مما أتاح له إنتاج هذا العمل العلمي الضخم.

٤- حاول المستشرقون الثلاثة من خلال هذه المناهج إبراز التأثيرات المسيحية واليهودية والبابلية والمجوسية والمانوية على النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته.

٥- إنكار عالمية الإسلام وقصره على كونه مشروع سياسي ذو طابع ديني يؤدي إلى جمع العرب في دولة عربية كبرى!

٦- وصف دعوة التوحيد التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم بالغموض، وهذا الغموض - كما يرى هؤلاء المستشرقون أدى إلى دخول محمد صلى الله عليه وسلم في مساومات مع القرشيين أدت في النهاية إلى الاعتراف بآلهتهم اللات والعزى ومناة! وهذا يدل دلالة واضحة على أن هذه الدراسات تحمل في أحشائها كما هائلًا من التناقضات مع أبسط قواعد المنطق والعقل والمناهج العلمية.

٧- تهميش إصلاحات النبي صلى الله عليه وسلم في الجانب الأخلاقي والاجتماعي، والاقتصادي في المجتمع الإسلامي.

٨- تفسير الغزوات النبوية تفسيرًا ماديًّا بحتًا مع التغييب المطلق لطابعها الدعوى، ولهذا تم إنكار واقعة الوفود التي أقبلت على اعتناق الإسلام، واعتبرها هؤلاء المستشرقون أكاذيب![٣٥].

وغير ذلك من النتائج مما لا يسع المجال لذكرها وإنما ذكرنا أهمها.

---

[٣٥] راجع الاستشراق في السيرة النبوية صـ ٢٨٨- ٢٩٠ "بتصرف".

وأما الدراسة الثانية، فهي "كتاب تاريخ القرآن للمستشرق الألماني تيودور نولدكة ـ ترجمة وقراءة نقدية ـ للدكتور/ رضا محمد الدقيقي وقد توصل بعد دراسة علمية دقيقة لهذا الكتاب إلى النتائج التالية:

١ـ الاعتماد على روايات ضعيفة وتجاهل الآيات التي ترد التهم عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٢ـ خلص ـ بعد اعتماده على الروايات الضعيفة ـ إلى حكم عام نسبه لكل المسلمين، وتجاهل كافة الروايات الصحيحة الكثيرة، بل وآراء علماء المسلمين.

٣ـ لم يتوحد لديه معيار الحكم؛ حيث أثبت الوحى بصلصة الجرس استنادا لحديث نبوي، في حين رفض الأنواع الأخرى على الرغم من ثبوتها بالقرآن وصحيح السنة.

٤ـ اجتزاء النصوص الإسلامية ووضعها في غير سياقها الذي وردت فيه في مصادرها.

٥ـ التعامل بانتقائية مع النص الحديثي الواحد! حيث يجتزئ منه ما يظن منه أنه يؤيد رؤيته ويسكت هما يفسرها أو يعارضها بيقين.

٦ـ الانتقائية في التعامل مع المصادر الإسلامية.

٧ـ استسلاما منه لنظريات استشراقية مسبقة فقد وظف نولدكه نتائج " ترتيبه للقرآن حسب النزول" في الحكم الخاطئ في قضايا جوهرية بشأن الإسلام ونبيه على الرغم من أنه ـ هو نفسه ـ لم يقتنع بهذا الترتيب.

٨ـ حاول نولدكه جاهدًا أن يثبت نظريته الخاطئة ـ أن النبي كان يبحث عند اليهود عن مرجعية دينية ـ فرجح نزول بعض الآيات في العهد المدني وبعضها في العهد المكي مخالفًا بذلك صحيح الروايات وأحداث السيرة النبوية[٣٦].

---

[٣٦] انظر كتاب تاريخ القرآن للمستشرق الألماني نولدكه ـ ترجمة وقراءة نقدية ـ د/ رضا الدقيق ـ صـ ٣/ ٢٤٦ " بتصرف".

وأما الدراسة الثالثة فهي دراستنا عن كتاب:

" دروس قرآنية للمسيحيين ـ مدخل إلى كتاب المسلمين المقدس ـ للقس باول شفارتزيناو "رؤية نقدية ـ بحث علمي محكم منشور في مجلة كلية دار العلوم القاهرة. ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

وقد توصلت إلى النتائج التالية:

١ـ على الرغم من أن باول شفارتزيناو كان منصفا في تناوله لكثير من القضايا إلا أنه ـ كغيره من المستشرقين ـ لا يسلك الطريق المباشر في إبرازها، وإنما جاء بها على منهجهم الذي يقوم على إلقاء الشبهات القاتلة في قلب الحقائق الدامغة، إنه منهج استشراقي أشار إليه مترجم الكتاب الدكتور/ السيد الشاهد، ولم يستطع باول التخلص من حبائله؛ ولذلك جاء كتابه يحوى العديد من الشبهات حول مصدر القرآن، وحول النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كما يحوى الحقائق التي تمثلت في أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء، وأن القرآن الكريم هو كلام الله الذي نزل من اللوح المحفوظ وأنه آخر الكتب السماوية نزولًا، وأن الإسلام دين عالمي لا يختص بجنس دون آخر.

٢ـ كشف هذا البحث أن المستشرق باول وهو الشخصية الدينية التي تنظر بشيء من الإنصاف للإسلام ولتراثه، ينتابها القلق والتذبذب بين تراثه الديني، وما فيه من أساطير وبين القرآن وما فيه من حقائق علمية وتاريخية ناصعة.

٣ـ اعتمد باول في مصادره على كتب الصوفية التي شابها كثير من المغالاة كالفتوحات المكية لابن عربي وغيره.

٤- ومع ذلك فيعد كتاب باول: "دروس قرآنية للمسيحيين..."، في نظر بعض المفكرين الألمان أفضل ما يمكن أن يقدمه باحث ألماني عن الإسلام في ألمانيا، ولعلنا بذلك نكون قد وقفنا أمام فريقين من المستشرقين: أعداء الإسلام، والمنصفين له[٣٧].

ترجمة المستشرقين للقرآن الكريم:

وقد يقول قائل ممن يناقشون عن المستشرقين وأعمالهم إن كل ما ذكرته لا ينفي جهد المستشرقين في ترجمة القرآن الكريم وكثير من كتب التراث إلى لغاتهم مما ساعد على نشر تعاليم الإسلام في أوربا وأمريكا ونسى أصحاب هذا القول: إنه إضافة إلى ما تحمله هذه الترجمات من أخطاء فادحة في المعنى وتحريف المقصود من معنى الآيات القرآنية إلى ما يناقضه أحيانا، فإن المستشرقين قدموا ترجمات القرآن الأولى للقراء من غير المسلمين بصورة تقطر تعصباً وكرهًا للإسلام نعم، نعترف بالفضل لمن قام بأول ترجمة ألمانية للقرآن عام ١٦١٦م لكنه قدمها للعالم تحت مسمى: قرآن الأتراك: دين وخرافات، وأما الترجمة الثانية الترجمة الثانية لمترجمها جوهان لانجي عام ١٦٨٨م فكانت تحت عنوان: كتاب الأحكام التركي الكامل أو قرآن محمد، حتى الترجمة التي استعان بها الشاعر الألماني جوته في أعماله الشعرية جاءت تحت مسمى: كتاب الأتراك المقدس وكانت للمترجم ديفيد فردرش، وكانت عام ١٧٧٢م.

إن القرآن الكريم في نظر المستشرقين لا يخرج عن كونه: إما كتاب دين وخرافات! أو كتاب ألفه محمد! أو كتاب ألفه الأتراك! هذا هو جهد المستشرقين في ترجمتهم لمصدر الإسلام الأول وهو القرآن الكريم فكيف يكون جهدهم مع ما دونه من كتب الإسلام؟!

---

[٣٧] انظر بحثنا " كتاب دروس قرآنية للمسيحيين - مدخل إلى كتاب المسلمين المقدس - تأليف القس باول شفارتزيناو - استاذ علوم الأديان بجامعة دورتموند - ألمانيا " رؤية نقدية للدكتور / محمد عطا - صـ ٦، ٧- مجلة كلية دار العلوم - إصدار خاص ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

وربما يقول قائل ممن يدافعون ويناقحون عن أعمال المستشرقين: إننا لا يمكن أن ننكر أن المستشرقين قد قدما للعالم الغربي والإسلامي على السواء ذخائر التراث العربي بعد طبعوه وحققوه ونشروه، وهذا أيضًا مما لا ننكره لكننا نتفحص فيما حققه المستشرقون من تراثنا فنجد انحرافا غريبا في انتقائهم لما يحققون من تراثنا.

ولهذا فإننا نقول:

إن كان المقصود بأعمال المستشرقين الخاصة بتحقيق التراث هو إثبات نص الكتاب المخطوط، أو نقله من مرحلة المشافهة إلى مرحلة التدوين، فليس للمستشرقين أي سبق في ذلك، وما فعله المسلمون في إثبات نص القرآن الكريم ونقله من المشافهة إلى التدوين والكتابة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومرورا بعهد خليفته أبي بكر، ثم خليفته عثمان بن عفان رضى الله عنهما من ضبط لكل كلمة في هذا الكتاب بل لكل حرف من حروفه نطقا وكتابة لا يماري في ذلك أحد، لا عالم بالتراث الإسلامي ولا جاهل به، وما قدمه علماء المسلمين بعد ذلك من تدوين لسائر العلوم والمساهمة الحضارية الفاعلة في نقل العلم من مرحلة المشافهة إلى مرحلة التدوين أمر لا يختلف عليه أحد من الباحثين.

وأما إن كان المقصود بأعمال المستشرقين الخاصة بتراثنا هو عملية تيسير قراءته، وذلك بنقله من صورة مكتوبة يصعب قراءتها إلى صورة مكتوبة أخرى تكون أيسر قراءة، فلا مشاحة من القول بأن المستشرقين كانت لهم المحاولات المبكرة في محاولة تيسير قراءة المخطوط العربي ونقله من صورته المخطوطة أي المكتوبة بيد الناسخ إلى صورة أخرى مكتوبة بالآلة الكاتبة، "من خلال المطابع الحديثة"، وأن هذا قد يسَّر على جمهور القراء من المسلمين قراءته ونشره، وفي رأيي أن هذه الحالة تشبه إلى حد بعيد ما يتم الآن من محاولة نقل الكتاب المقروء من خلال الورق إلى الكتاب الإلكتروني المقروء من خلال شاشات أجهزة الحاسب الإلكتروني.

المستشرقون والرؤية الانتقائية من التراث الإسلامي:

وكل ما سبق هذا شيء، وما أقدم عليه المستشرقون من اختيار الكتب التي يطبعونها ويحققونها وينشرونها من تراثنا الإسلامي في الساحة الثقافية الإسلامية شيئًا آخر.

وهنا لا بد أن نقترب شيئًا ما من حياض التحقيق، ونقترب أكثر مما حققه المستشرقون.

ولعل الدراسة الجادة التي تقوم على الاستقراء والحصر - ولو بصورة جزئية - التي قدمها الدكتور عبد العظيم الديب، قد تلقي الضوء بصورة واضحة على ما قدمه المستشرقون للعالم من كتب محققة من التراث الإسلامي.

وأحسب أن محاولة الديب في كتابه " المستشرقون والتراث" كانت من المحاولات المبكرة في هذا الاتجاه والتي كانت تحتاج إلى تبنى من الهيئات والمؤسسات العلمية في المجتمعات الإسلامية، إذ تقوم هذه المحاولة على الاستقراء والتحليل لأعمال المستشرقين وذلك من خلال معجمين هامين يحتويان على معظم ما قام المستشرقون بطباعته أو تحقيقه من كتب التراث:

الأول كتاب: " معجم المخطوطات المطبوعة، لصلاح الدين المنجد"، والثاني: " ذخائر التراث العربي - الجزء الأول، للدكتور عبد الجبار عبد الرحمن"، ثم قام بإحصاء دقيق لكل المخطوطات المنشورة من خلال هذين الكتاب، ثم قام بإحصاء ما قام المستشرقون بنشره من هذه المخطوطات. وبعد أن أجرى كثيرًا من الإجراءات، ووضع كثيرًا من الاحترازات انتهى إلى هذه النتائج:

١- إن التصوف والفلسفة وعلم الكلام هو الاتجاه الأول الذي يحوز على اهتمامهم بالتحقيق، ويعلل ذلك بقوله: إنهم يفعلون ذلك ليتعرفوا على السلوك والفكر والعقيدة، فهم يتعرفون على هذا اللون من الفكر ويتبعون شهواته وانحرافاته، وكيف تقعد

بالناس عن العمل والجهاد، وهذا يشل حركة الأمة ويقعدها عن المقاومة ويحدث فيها ما لم تحدثه الجيوش الجرارة، وضرب مثالًا لذلك بحرصهم على تحقيق كتاب " ألف ليلة وليلة"، وكتاب "الأغاني"، واحتفائهم بهما احتفاءً شديدًا.

٢- لقد رد على هذا القول من يزعمون أن المستشرقين نشروا لنا أمهات المراجع ولولاهم ما تعرفنا على كثير من تراثنا، فذكر في الرد على هذا القول بأنهم أيضًا حققوا لنا ما أشعل المفتن والتفرق العقائدي بل والخرافات والأساطير، وذكر أكثر من خمسة وثلاثين كتابا قام المستشرقون بإخراجها منها على سبيل المثال: أخبار الحلاج، وطبقات الصوفية، الفتوحات لابن عربي، المنتقى من كتاب الرهبان، الأئمة المستورين، الاقتصار في فقه الشيعة، الآثار العلوية لأرسطوطاليس، المفاخرة بين الجواري والغلمان للجاحظ... إلخ".

ثم قدم نماذجَ لعدم أمانتهم في المنهج العلمي المتبع في تحقيق ما حققوه، فذكر ما فعله جولد تسيهر في كتابه تاريخ المذاهب الإسلامية، وول ديورانت في كتابه قصة الحضارة، وفان فوتن في كتابه السيطرة العربية.

٣- إنهم يلبسون طيلسان البحث العلمي، ويرفعون لواء الأكاديميات وهم مضللون خائنون للعلم والمنهج والأمانة وطرق البحث.

٥- إن عنايتهم بالتراث كانت وما زالت وستظل من باب " اعرف عدوك" فهذه الكتب التراثية هي الخرائط والصور لعقولنا وعواطفنا ومشاعرنا واتجاهاتنا... إلخ[٣٨].

وقد وقف الدكتور الديب أمام كتابين من أهم الكتب التي أشادوا بها وأشاد بها تلاميذهم في بلاد الإسلام، وهما:

---

[٣٨] راجع المستشرقون والتراث د/ عبد العظيم الديب صـ ٨، ٩،١٦، ١٩، ٢٤، ٢٥، ٢٨_ ٣٨، ٤٣ " بتصرف"

.

* كتاب "ألف ليلة وليلة؛ "يقول الدكتور الديب: "وإذا لم يكف كل ما قدمناه من أدلة على اتجاه النشر عند المستشرقين، وأنهم يوجهونه إلى معرفتنا ثم تمزيقنا وتدميرنا، فهل أتاك نبأ " ألف ليلة وليلة"؟ تلك القصص الخرافية التي روَّجوها فينا حتى فشت في كل أنحاء العالم الإسلامي، ومن يتتبع طبعاتها المتوالية، ويتتبع الدراسات والبحوث التي أُجريت بشأنها، يدرك أنهم جعلوها لنا زادًا، واتخذوها هم مصدر الدراسات للمجتمع الإسلامي في عصوره الناهضة الواعدة، فجعلوا ما في هذه الأقاصيص من خرافات هي الصورة الحقيقية للمجتمعات الإسلامية في إبان قيادتنا للإنسانية، وريادتنا للبشرية، جعلوا ألف ليلة وليلة هي الصورة "الحقة" لحياة المسلمين، ومن ألف ليلة وليلة كان الظلم الفاحش للخليفة المسلم العادل المنتصر هارون الرشيد حتى كتب من كتب من مفكرينا أن هارون الرشيد - كما ورد في ألف ليلة وليلة كان إذا صعد على الدرج في قصره، يصطف له صفان من العذارى على الجانبين... إلخ، ولو أردت أن تعرف مدى احتفاء المستشرقين بألف ليلة وليلة فانظر في دائرة المعرف الإسلامية التي من تأليفهم لترى أنهم كتبوا عنها " ٣٥" صفحة كاملة، وأن أكثر من عشرين من أساتذتهم وأعلامهم أصدروا أبحاثًا عنها.

وفي كتاب الأغاني نموذج آخر لاتجاهات المستشرقين في نشر التراث، فقد لَقِيَ هذا الكتاب من العناية والمبالغة في شأنه أكثر مما لقيه كتاب "ألف ليلة وليلة" هذا الكتاب العجيب الغريب الذي ليس أعجب منه إلا حياة مؤلفه، فقد قالوا عنه: (إنه أموي نسبًا شيعي مذهبًا)، وهذا لم يتفق لأحد سواه، أما وصف حياته، وخلقه وسلوكه، ففيه ما يقبح ذكره ويكفى أن العلماء الأثبات قالوا في الحكم عليه " كذاب يأتي بالعجائب والغرائب بحدثنا وأنبأنا)، وهذا الكتاب وما لقيه من اهتمام ظهر في العناية بطبعه وإخراجه ونشره وإذاعته، ثم تيسيره وإتاحته لكافة المستويات على هيئة تجريد الأغاني، وتهذيب الأغاني، ومختارات الأغاني حتى صار هو المصدر الأول لكل الدراسات الأدبية تقريبا وتعدى ذلك إلى دراسة التاريخ بل وتاريخ الفكر من

فقه وتفسير وعقيدة، ومن ثم صار ما فيه من طرائف وغرائب وأحكام ثابتة وقضايا مقررة، يستند إليها من يطعنون في رواة السنة وفى فتاوى الأئمة وآراء الفقهاء وأحكام القضاة[٣٩].

صورة واقعية لبيان أثر انتقاء المستشرقين لكتب التراث التي نشروها في الفكر الإسلامي المعاصر:

ولقد كان الشيخ الغزالي رحمه الله أكثر عمقًا في رصده لما تركه المستشرقون في مجتمعاتنا الإسلامية عندما تحدث عن كتاب الفتوحات المكية لابن عربي يقول الشيخ محمد الغزالي: "لقد اطلعت على مقتطفات من الفتوحات المكية لابن عربي، فقلت: كان ينبغي أن يسمى الفتوحات الرومية! فإن الفاتيكان لا يطمع أن يدس بيننا أكثر شرًّا من هذا اللغو...

يقول ابن عربي في الباب ٣٣٣ بعد تمهيد طويل: "إن الأصل الساري في بروز أعيان الممكنات هو التثليث! والأحد لا يكون عنه شيء البتة! وأول الأعداد الاثنان، ولا يكون عن الاثنين شيء أصلًا، مالم يكن ثالث يربط بعضهما ببعض، فحينئذ يتكون عنها ما يتكون، فالإيجاد عن الثلاثة والثلاثة أول الأفراد...".

لم أقرأ في حياتي أقبح من هذا السخف، لا ريب أن الكلام تسويغ ممجوج لفكرة الثالوث المسيحي، وابن عربي من عصابات الباطنية والحشاشين الذين بذرتهم أوربا في دار الإسلام أيام الحروب الصليبية الأولى، كانوا طلائع هذا الغزو الخسيس، من قال: إن الواحد لا يكون منه شيء أصلًا؟ ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢] وفى دنيا الناس يسأل كل واحد عما يفعل ويترك، ويتفاوت آحاد البشر في قدراتهم وخبراتهم حتى يقول ابن دريد:

والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن الأمر عنى!

---

[٣٩] راجع "المستشرقون والتراث" د/ عبد العظيم الديب ٢٠-٢٢بتصرف.

ومن قال إن أول الأعداد الاثنان؟ وهل تكون الاثنان إلا ازدواج الواحد؟! ثم من قال: إن الاثنين لا يكون عنهما شيء أصلًا؟ وإذا كان هو لم ينشأ من أمه وأبيه فمم نشأ؟! ولكن ابن عربي يمضي في سخافاته فيقول - عن عقيدة التثليث -: "من العابدين من يجمع هذا كله في صورة عبادته وصورة عمله، فيسرى التثليث في جميع الأمور لوجوده في الأصل"! ويبلغ ابن عربي قمة التغفيل عندما يقول: "إن الله سمى القائل بالتثليث كافرًا، أي ساترًا بيان حقيقة الأمر، فقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، فالقائل بالتثليث ستر ما ينبغي أن يكشف صورته، ولو بين لقال هذا الذي قلناه.."!!.

واكتفى الأحمق بذكر الجملة الأولى من الآية، ولم يردفها بالجملة التالية ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، وذلك للتلبيس المقصود!

هذا الكلام المقبوح موجود فيما يسمى بالتصوف الإسلامي! وعوام المسلمين وخواصهم يشعرون بالمصدر النصراني الواضح في هذا الكلام، ومما يلفت النظر أن معهد الدراسات الإسلامية بجامعة السوربون قد اتفق مع إحدى العواصم العربية على طبع الفتوحات المكية وإخراجها في بضعة وثلاثين جزءًا.

لحساب من يتم هذا العمل في هذه الأيام العصيبة؟ نحن نريد العودة بأمتنا إلى ينابيعها العلمية الوثيقة، ونناشدها ألا تقبل من التوجيهات إلا ما اعتمد عليه الوحى الصادق، ولدينا ولله الحمد كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسنة توافر الحفاظ والفقهاء على ضبطها على نحو لم يقع نظيره لتراث بشر..

إنه مع مطالع القرن الخامس عشر تحاول خرافات الكتابيين كما تحاول خرافات الوثنيين أن تشيع بيننا مقالات وأحكاما تزرى بحضارتنا ورسالتنا... ويقول الغزالي: "قديمًا قال ابن عربي: "إن فرعون تاب وقبل الله توبته، فمات طاهرًا وذهب إلى الله مسلمًا! فهل يقول بهذا الكلام رجل قرأ قوله تعالى عن فرعون ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٨، ٩٩] هل يتقدم قومه ليسلمهم إلى خازن النار، ثم يعود مكرما ليدخل الجنة؟! إن مياه البحر الأحمر والأبيض والأسود لن تطهر فرعون أبدا مهما قال: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠] وابن عربي عابث كذوب".

ثم قال: "لقد تغير العدو، وتغير الميدان، وتغيرت الأساليب، وأضحت خدمة القرآن والسنة بحاجة إلى فكر معاصر ونظر أبعد!.

إن الجامعات الأوربية والأمريكية تدرس الإسلام دراسة بالغة السوء، مناهج محورها الجهل المركب، وأساتذة إما يهود رسب في أفئدتهم حقد القرون، وإما ملاحدة يحاربون الوجود الإلهي الحق، كأنما يدافعون عن حياتهم، وإما صليبيون بينهم وبين محمد ثأر لا يطفئه إلا الدم...

إن البحث الحر المحايد لا وجود له! وفي هذه الأيام ـ يقصد أيام كان الغزالي حيًّا ـ يوجد تعاون بين قسم الدراسات الإسلامية بالسوربون، وبين المسئولين عن العلوم الآداب والفنون عندنا عن إخراج كتاب الفتوحات المكية في بضعة وثلاثين سفراً في نسخ أنيقة فاخرة، لتيسير تداولها بين الناس، ولنشر فكر ابن عربي الذي تحتاج إليه أوربا هذه الأيام...

والسعي لإحياء أفكار ابن عربي جزء من تضليل أمتنا، وتعتيم الرؤيا أمامها، أو هو عرض لدين مائع يسوى بين المتناقضات، إذ قلب ابن عربي ـ كما وصف نفسه ـ دير لرهبان، وبيت لنيران، وكعبة أوثان، إنه تثليث وتوحيد ونفي وإثبات، وماذا تقول في رجل يفسر قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] بأن المقصود هم الأولياء الخلّص، ومعنى كفروا ستروا محبتهم لله! وختم الله على قلوبهم فلا يدخلها غيره، وعلى سمعهم فلا يسمعون إلا منه، وعلى

أبصارهم فلا يرون إلا نوره، ولا يؤمنون بك يا محمد"!، هذا الكلام الغث هو قرة عين الصليبيين وأمثالهم...

إن علماء الأزهر في العصر الأيوبي أنكروا تفكير هذا الرجل وحكموا بكفره، وأودع السجن ليلقى جزاءه، ولكن أصدقاءه نجحوا في تهريبه، إن بعض علماء فرنسا يمكر بنا، وإن الدور التبشيري لجامعاتها مستمر وإن بدا في صور شتى، وقد بلغني أنهم قالوا إن ما أعطاه " ديجول" للعرب عقب هزيمته في الجزائر، سوف نسترده بطريق الغزو الثقافي اللين الخادع!.

ماذا تقول إذا قرأت في دوائر المعارف الفرنسية للعلامة "لاروس": "إن محمدًا كان كاردينالًا يطمح إلى تولى منصب البابوية، فلما عجز عن تحقيق رغبته اختلق دينا جديدا يشبع به أطماعه في الرياسة..."؟!

إذا كان هذا كلام علمائهم فماذا تنتظر من الجهال)؟[٤٠].

فهل بعد كل ما ذكرناه لايزال بعض المفكرين المسلمين يدافعون عن مناهج المستشرقين وطرائقهم في تناول تراثنا الإسلامي؟

المستشرقون وتحقيق المعاجم وصنع الفهارس:

وربما يقول قائل: إن المستشرقين قد قدموا لنا كثيرًا من معاجم اللغة وفهارس للسنة النبوية كانت ولا تزال من أهم طرق التيسير على طلاب العلم في الوصول إلى بغيتهم.

وهذا قول صحيح لكننا نود هنا أن نبين أن ما أقدم عليه المستشرقون في هذا المضمار لم يفعلوه مطلقا ليساعدونا، أو ليسروا لنا أبحاثنا العلمية وما كان ذلك

---

[٤٠] تراثنا الفكري بين العقل والنقل ـ الشيخ محمد الغزالي "بتصرف" ـ ٦٠-٦٢، و٧٢-٧٤ .

هدفهم البتة، وإنما كان الأمر كما أجاب الدكتور قاسم السامرائي على سائله في هذه المسألة فقال:

" تعاونت مؤسسة بريل مع حلقات المستشرقين، ثم كان لهم أيضًا جمعيات من المستشرقين السويديين والهولنديين والدينمركيين، فنشروا المعجم المفهرس، هل نشروه لصالحك أو لصالحي؟ لا بل نشروه لصالحهم هم، فقد عمل ليصل بهم إلى ما يريدون، لكن بعد ذلك استفدنا نحن منه، هذه حقيقة، لكن النية التي دفعتهم إلى نشر هذه المنشورات لم تكن لي ولا لك، وإنما كانت أولا للشهرة العلمية، والتنافس العلمي، كان هناك على أشده، وجمع بين دراسات الإسلام ودراسات عبرية، دراسات تركية، دراسات فارسية، فهم ليسوا مثلكم غرفة يجتمع فيها أكثر من عشرين أستاذا، فكان التنافس يظهر على أشده حتى يظهر كل منهم نفسه أنه القادر على فلان وفلان، وتأخذه الجامعات، أنتم لديكم فكرة مشوهة عن الاستشراق تمامًا (٤٠) سنة وأنا هناك وكل ما أقوله هو مبنى على تجربة شخصية، هذا يقول كذا وذاك يقول كذا، تستطيع أن تقول ما تشاء، لكن واقع الحال غير هذا، يجب أن ندرس الأمر بموضوعية صرفة، وتجرد صرف، لنعطي ما لهم لهم، وما عليهم عليهم، هذا هو الأمر العلمي الصرف...)[٤١].

نعم إن هذا القول من عالم جليل مثل قاسم السامرائي يتواءم تمامًا مع المنهج الإسلامي القويم الذي بني في أساسه على قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٣]، وما ورد في الخبر من قولهم: (الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق

---

[٤١] التراث الإسلامي المخطوط واهتمام المستشرقين به في جامعات هولندا ـ د/ قاسم السامرائي ص١٢ ـ ندوة علمية في مكتبة الملك عبد العزيز السعودية ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

الناس بها)، (بعد ما تبين لنا أن الخبر ضعيف...)، تبقى مسألة: ماحكم أخذ الحق من غير أهله؟ فهل الجواز مطلقا أو المنع مطلقًا أو جوازه بشروط؟ ولعل الأقرب جوازه بشروط؛ لحديث أبي هريرة مع الصدقة في البخاري حينما قال له النبي صلى الله عليه وسلم عن الشيطان (صدقك وهو كذوب)[٤٢].

وصنيع بعض العلماء الذين ينقلون بعض حكم الهند والفرس وغيرهم في بعض مؤلفاتهم مالم تتعارض مع ديننا يدل على تجويزهم ذلك، وشرطه ـ في نظري ـ ١:ـ ألا يترتب على أخذ الحق من غير أهله تسرب شيء من الباطل.

٢ـ لا يقبل ان هذه حق او حكمة إلا من عالم بالشرع يستطيع تمييز هذه الحكم من غيرها.. وكم من كلام حسبه بعض الناس حقًّا وتناقلوه بينهم وهو عند العلماء المحققين باطل يهدم الدين.. مثل مقولة: (الغاية تبرر الوسيلة)، وحينما ننظر لترجمة علوم اليونان والرومان في زمن الأمويين والعباسيين وغيرهم كان الدافع هو طلب هذه الحكمة ولكن تسرب معها شر عظيم عانت منه الأمة كثيرًا.

لقد أمرنا منهجنا العلمي الإسلامي بالعدل ولو مع ذي الشنآن البغيض إلى نفوسنا، وأمرنا ألا نبخس الناس ـ عموم الناس ـ أشياءهم أي ما قدموه مما ينتفع به، وأمرنا هذا الخبر أن يسعى المؤمن وراء ضالته فإن وجدها فهو أحق الناس وأسبق الناس للعمل بما فيها من خير.

قدَّم المستشرقون المعجم المفهرس للألفاظ الحديث النبوي قام به المستشرق فنسنك وآخرون، فهل نعرض عن الاستفادة منه لأنه من عمل مستشرق لا يؤمن بالإسلام؟ لقد أفنى سنى حياته في ترتيبه وتبويبه ليقال عنه ما أجلده! ما أصبره! ما أعلمه! ما أحكمه...إلخ وقد قيل! ولا مانع عندي من أقول لبعض المستشرقين ذلك، فليس في ذلك شيء من النفاق أو المبالغة؛ بل هو تقرير حقيقة، وإثبات واقع. ولا

---

[٤٢] جزء من حديث صحيح أخرجه البخاري عن أبي هريرة.

نستغرب وقوع هذا من بعض المستشرقين وقد أخبر الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وسلم أنه سيقع من بعض علماء المسلمين أن يكون همهم الأول في تحصيل العلم أن يقال عنهم ما أعلمهم،

ويشار إليهم بالبنان!)[٤٣].

إن مثل هذه الأعمال الجادة النافعة التي لم يتدخل فيها المستشرقون بأفكارهم وعقائدهم ليفسدوها أو ليشوهوا حقائقها، يجب أن نستفيد منها ما أمكننا إلى ذلك سبيلا ولننظر إليها على أنها من المحفزات التي تسوقنا سوقا وتدفعنا بشدة للعمل الدؤوب في سبيل نهضتنا والتنقيب عما في تراثنا مما يبعث في أمتنا نبض الخلود والبقاء في صدارة الأمم لا في ذيولها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

[٤٣] المقصود من ذلك الحديث الصحيح الذي ورد فيه أن أول من تسعر بهم النار ثلاثة، وذكر من بينهم العالم الذي يتعاظم بعلمه ليقال له عالم.

المصادر والمراجع والفهارس

* أحمد زكي الملقب بشيخ العروبة: حياته، آراؤه، آثاره، أنور الجندي، سلسلة أعلام العرب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ١٩٦٤ م

* الاستشراق في السيرة النبوية: دراسة تاريخية لآراء" وات ـ بروكلمان ـ فلهاوزن " ـ الأستاذ عبدالله محمد الأمين ـ مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ـ الطبعة الأولى ـ ١٤١٧هـ

* الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري د/محمود حمدي زقزوق ـ كتاب الأمة ط١ ـ قطر ـ ١٤٠٤هـ

* الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود ـ مراد هوفمان ـ ترجمة عادل المعلم ـ مكتبة العبيكان ـ السعودية ـ الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ

* أصول نقد النصوص ونشر الكتب "برجستراشر تعليق د/ محمد حمدي البكري ـ القاهرة ـ ١٩٦٩م

* تحقيق التراث: منهجه وتطوره عبد المجيد دياب ـ دار المعارف القاهرة ـ ١٩٩٣م

* تحقيق النصوص ونشرها ـ الأستاذ عبد السلام هارون ـ مكتبة الخانجي القاهرة ـ ١٤١٨هـ ١٩٩٨م

* التراث الإسلامي المخطوط واهتمام المستشرقين به في جامعات هولندا ـ د/ قاسم السامرائي ـ ندوة علمية في مكتبة الملك عبد العزيز السعودية ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م

* التراث الإسلامي ـ الدكتور بكر زكي ـ مجمع البحوث الإسلامية ـ القاهرة

* التراث والمعاصرة أكرم ضياء العمري كتاب الأمة رقم (١٠) شعبان ١٤٠٥هـ ط١ الشئون الدينية قطر.

* تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة وكيفية ضبط الكتاب وسبق المسلمين الإفرنج في ذلك ـ الأستاذ أحمد شاكر ـ تعليق عبد الفتاح أبو غدة ـ مكتبة السنة ـ القاهرة ـ ط٢ ـ ١٤١٥هـ

* التعريفات للشريف الجرجاني، على بن محمد (ت٨١٦هـ)، بيروت، مكتبة لبنان،١٩٦٩م

* سنن أبي داود ـ سليمان بن الأشعث السجستاني ـ دار الريان للتراث ـ القاهرة ـ د.

* سنن ابن ماجة ـ محمد بن يزيد القزويني ـ دار الريان للتراث ـ القاهرة ـ د.ت

* السيرة النبوية لابن هشام ـ عبد الملك بن هشام ـ تحقيق أحمد حجازي السقا ـ دار التراث العربي ـ القاهرة ـ ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م

* صحيح البخاري ـ محمد بن إسماعيل البخاري ـ مؤسسة مناهل العرفان ـ دمشق ـ د.ت

* صحيح مسلم ـ مسلم بن حجاج القشيري ـ مؤسسة مناهل العرفان ـ دمشق ـ د.ت

* فن تحقيق التراث ـ د/ محمود الطناحي وآخرون ـ مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ـ كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة ـ ١٩٩٨م

* قواعد تحقيق المخطوطات الدكتور صلاح الدين المنجد ـ دار الكتاب الجديد ـ بيروت د.ت

* كتاب " أصول نقد النصوص ونشر الكتب " برجشتراسر عرض وتحليل ودراسة مقارنة" ـ تامر عبد المنعم الجبالي ـ مطبوعات مركز تحقيق التراث العربي ـ القاهرة

* كتاب تاريخ القرآن للمستشرق الألماني تيودور نولدكه ـ ترجمة وقراءة نقدية ـ د/ رضا الدقيقي ـ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ـ قطر ـ ط١ـ ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م

* كتاب دروس قرآنية للمسيحيين ـ مدخل إلى كتاب المسلمين المقدس ـ تأليف القس باول شفارتزيناو ـ استاذ علوم الأديان بجامعة دورتموند ـ ألمانيا " رؤية نقدية للدكتور / محمد عطا ـ مجلة كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة ـ إصدار خاص ـ ١٤٢٧هـ ـ٢٠٠٦م

* مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ـ محمود محمد الطناحي ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م

* محاضرات في تحقيق النصوص الأستاذ هلال ناجي ـ دار الغرب الإسلامي – بيروت ـ د.ت

* محمود الطناحي، عالم العربيَّة وعاشق التراث ـ للأستاذ أحمد العلاونة، وهو الكتاب رقم (٩) في سلسلة علماء ومفكرون معاصرون، لمحات من حياتهم وتعريف بمؤلفاتهم ـ دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

* المستشرقون والتراث د/ عبد العظيم الديب ـ المكتبة العمية ـ بيروت ـ د.ت

* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان.

* المفردات للراغب الأصبهاني ـ مكتبة فياض مصر ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م

* المقدمة لابن خلدون ـ عبد الرحمن بن خلدون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٢١هـ

* مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ـ رمضان عبد التواب ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة.

* منهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ـ للدكتور فرج الله عبد الباري رحمه الله ـ مكتبة العلم ـ مصر.

* الموجز في مراجع التراجم ـ د/ محمود الطناحي ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ١٩٨٠م

* الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ د/ مانع حماد الجهني ـ الرياض السعودية ـ دار الندوة العالمية للطباعة والنشر الطبعة الثالثة ـ ١٤١٨هـ

* موقف الاستشراق اليهودي من الإسلام ـ محمد الغندور ـ رسالة جامعية ـ جامعة الزقازيق ـ ٢٠٠٥م

المجلات:

* مجلة الاجتهاد ـ الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين ـ د/ السيد الشاهد ـ عدد ٢٢ السنة السادسة ١٩٩٤م

* مجلة الأدب الإسلامي –العدد ١٦، وهو عدد خاص بالحديث عن الشيخ محمود شاكر

* مجلة الأزهر ـ الجزء العاشر ـ السنة الثامنة والستون ـ السيد الجميلي: الجيل الثاني أو الطبقة الثانية من المحققين الأعلام

* مجلة التاريخ العربي ـ نحو تأسيس علم مخطوطات عربي: التجربة الغربية ـ د/ أحمد شوقي بنبين ـ ـ العدد ٢٥ ـ عام ٢٠٠٣م

* مجلة جذور ـ تحقيق التراث العربي نشأته ومناهجه مجبل لازم المالكي ـ عدد رجب ١٤٢٣ـ سبتمبر٢٠٠٢م.

* مجلة جذور ـ المستشرقون وخبز الشعير المذموم ومتفرقات ـ د/ عباس على السوسوة ـ العدد ١٢ـ السنة السادسة ـ ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

المحتويات

الانتقائية في تحقيق التراث بين المسلمين والمستشرقين ٣

تمهيد ٧

أما الانتقائية: ٧

والحق: ٩

التراث: ١٣

المبحث الأول: ١٦

فكرة الانتقائية في تحقيق التراث: ١٦

المبحث الأول: فكرة الانتقائية في تحقيق التراث: ١٧

الانتقائية وتعريف التراث: ١٧

المبحث الثاني: إشكاليات التراث الإسلامي في ثقافة المسلمين المعاصرين ٢١

المبحث الثاني: إشكاليات التراث الإسلامي في ثقافة المسلمين المعاصرين

الإشكالية الأولى: نظرة المسلمين للتراث الإسلامي ٢٢

الاتجاه الأول: ٢٢

أثر أعمال المستشرقين في الفكر الإسلامي المعاصر: ٢٩

تعريف الاستشراق: ٣٠

اليهود والاستشراق: ٣١

أهداف الاستشراق: ٣٢
أصناف المستشرقين: ٣٨
شهادة بعض المستشرقين على أعمالهم: ٤٢
دراسات نقدية لأعمال المستشرقين: ٤٤
وقد توصلت إلى النتائج التالية: ٤٨
المستشرقون والرؤية الانتقائية من التراث الإسلامي: ٥١
المصادر والمراجع والفهارس ٦١